

Looloo

www.dvd4arab.com

المؤسسة العربية الحديثة

لبيع وشراء الكتب

جميع الحقوق محفوظة

تأليف : أوسكار وايلد

ترجمة وإعداد

د. أحمد خالد توفيق

حكايات أوسكار وايلد

المؤلف



هذا لقولنا لفتى مع أديب
عظيم هو (أوسكار وايلد) ..
وكنا قد قبلناه في الكتيب رقم
١٨ مع قصته الشهيرة
(صورة نوريان جرائ)،
وعرفنا عنه بعض الحقائق ..
من جديد نكرر هنا ما قلناه لمن
جاءوا متأخرين :

أديب اليوم عاش حياة صاخبة وثار الكثير من
الجدل ، فلا يمكن الكلام عنه إلا في كتاب كامل ، لقد ولد
في (لندن) عام ١٨٥٤ لأب طبيب عيون ، وأم أديبة
ثمرة من أجل قضية أيرلندا ..

تخرج الفتى في جامعة أوكسفورد ، بعدما لفت الأنظار
إلى موهبته كشاعر وأديب له روح مرحة .. كما اشتهر
بأرقه الثورية الغريبة التي لا ينساها المرء بسهولة ،

روايات عالمية الأديب

سلسلة جديدة ، تقدم لك أروع ما يزخر به الأدب
العالمى ، في مختلف صنوفه ..
من الألفاظ البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..
من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..
من الفروسية إلى دنيا الأساطير ..
ومن الشرق إلى الغرب ..
وإلى الحضارة ..
والهيك ..

د. نبيل فاروق

وإن كنت تشعر بأنه يقولها أحياناً لمجرد التمييز حتى
إن لم يؤمن بها تماماً ..

حتى ثيابه كانت غريبة هي نوع من الاستغراق للتقاليد
والأنماط المسائدة ..

في العام ١٨٨٧ كتب قصته (شبح كاترفيل) وهي من
أشهر قصصه وأجدها .. للمرة الأولى نجد القصر مسكوناً
بشبح خائف مذعور من البشر الذين هم أكثر شناعة
وقسوة من أي شبح يمكن تصويره ..

بعد هذا بعلم قدم مجموعة من القصص الخيالية تحمل
اسم (الأمير السعيد) ، وهي المجموعة التي تشكل معظم
هذا الكتيب الذي تمسك به الآن .. وهي قصص شاعرية
تتخذ طابع قصص الأطفال ، لكنها تعكس شفافية وحساسية
غير عاديتين ، ثم أصدر رواية (صورة نوريان جراي) التي
ناقش فيها العلاقة بين جمال الصورة وقبح الروح ..
وبرغم أننا نراها اليوم أقرب إلى الروايات الأخلاقية فإنها
كانت صادمة في وقتها ، واستخدمت دليلاً ضده في
محاكمة (كوينزبيرى) الشهيرة ..

في المسرح قدم لنا رواية (مروحة الليدي وندرمير) ..
وعام ١٨٥٩ قدم تحفته (أهمية أن تكون جاداً)
و(امرأة بلا أهمية) و(الزوج المثالي) ..

كان نجاح الرجل ساحقاً .. لكن أصدقاء السوء جعلوه
يتزلق في عالم الرذيلة الذي يذكرنا كثيراً جداً بما
عاشه الفتى (نوريان) في (صورة نوريان جراي) ..
وسرعان ما قفمه والد صديق له إلى المحاكمة التي
اشتهرت باسم (محاكمة كوينزبيرى) ، وحكم عليه
بالسجن عامين ، لكن ، هذا ألقاه إذ كتب خطاباً
شهيراً وطويلاً جداً يعتبر من دُرر أدب السجون ، اسمه
(من الأعماق) أو (دي بروفندي) ..

بعد السجن بفر (وايلد) من إنجلترا التي لم يعد يطيقها ..
فذهب إلى فرنسا ويموت بلحمى لشوكية عام ١٩٠٠ ..
وهو اليوم مدفون في (مونمارتر) هناك ..

لن ينسى محبو الأدب كلمة (وايلد) الشهيرة : إن
الطبيعة تقلد الفنان .. كما لن ينسوا ما قاله (بيربوم)

عنه : كان الجمال موجوداً قبل عام ١٨٨٠ لكن
(أوسكار وايلد) كان هو أول من رآه ..

هاتان عبارتان جديرتان بالتأمل .. ولنسوف
تذكرهما مراراً وأنت تقرأ هذا الكتيب الملىء بالجمال
الذى لم يره إلا (أوسكار وايلد) ..

و. (أحمد خالد توفيق)

الأمير السعيد ..

في موضع عال من المدينة ، فوق عمود عال يقف
تمثال الأمير السعيد .. كان مكسواً بالكامل برقائق الذهب ،
وكانت عيناه حجريين برقائين من الزفير ، وثمة ياقوتة
حمراء كبيرة تلتصق على مقبض سيفه ..

كان لكل يعجب به وقد وصفه أحد أعيان المدينة راغباً
في أن يعرف عنه تذوقه للفنون :

- « إنه جميل كدوارة الرياح .. » وأضاف : « لكنه
ليس مفيداً مثلها .. »

لأنه خشى أن يحسبه الناس مفتقراً إلى التفكير
الصلى ، وهو لم يكن كذلك ..

وقالت أم حساسة لابنها الذي كان يبكي طالباً القمر :

- « لماذا لا تكون مثل الأمير السعيد ؟ إنه لا يبكي
لأى سبب .. »

وقال رجل محطم الآمال وهو ينظر إلى التمثال الرقاع :
- « يسرنى أن هناك شخصاً سعيداً بحق فى هذا
العالم .. »

وقال الأطفال وهم يغادرون الكاتدرائية فى عباةاتهم
الحمراء اللامعة :

- « إنه يبدو كملاك .. »

قال لهم معلم الرياضيات :

- « كيف تعرفون ؟ أنتم لم تروا ملاكاً من قبل .. »

قال الأطفال : - « رأيناه فى أحلامنا .. »

فقطب المعلم جبينه وبدأ صارماً ، لأنه لم يحب فكرة
أن يحلم الأطفال ..

* * *

ذات ليلة حلق طائر سنونو صغير فوق البلدة ..
كان رفيقه قد هاجروا إلى مصر منذ ستة أسابيع ، لكنه
بقى لأنه كان واقعاً فى الغرام مع عصفورة جميلة قابلها
يوماً وهو يسعى وراء دودة صفراء ..

- « هل لى أن أحبك ؟ »

كذا سألها السنونو الذى كان يختصر الطريق إلى
مقصده ، فهزت رأسها هزة خفيفة ، من ثم راح يحلق
حولها مراراً ، لامساً الماء بجناحيه فيترقق السطح
الفضى .. كانت هذه هى مغالته وقد دامت طيلة
الصيف ..

قالت العصفير الأخرى :

- « هذا ارتباط سخيف .. تلك العصفورة ليس لديها
مال ، وعلاقتها عديدة .. »

وكان النهر مليئاً بالعصفير الحسان ، لكنها طارت
جميعاً فى الخريف ..

بعد رحيلهن شعر بالوحشة .. وبدأ يسأم حبيبته :

- « إنها لاتجيد المحادثة .. ويؤسفنى أنها كثيرة الدلال
لأنها تعبت مع الريح كثيراً .. أوافق على أنها تهوى
البيت ، لكنى أهوى للترحال وعلى امرأتى أن تهوى
للترحال كذلك .. »

سألها أخيراً :

- « هل تأتين معي ؟ »

فهزت رأسها .. فقد كانت شديدة التعلق ببيتها ..

قال لها :

- « كنت تسخرين مني وتخدعيني كي أبقى جورك ..

لسوف أرحل إلى حيث الأهرام .. وداعاً .. »

وفارقها وطار بعيداً ..

طيلة اليوم ظل يطير ، ومع المساء وصل إلى المدينة ..

فقال لنفسه :

- « ترى أين أهبط ؟ أرجو أن تكون المدينة معدة

لذلك .. »

ثم رأى التمثال على عموده الشامخ ..

- « سأهبط هناك .. إنه مكان جيد وهناك الكثير من

الهواء النقي .. »

من ثم حط بين ساقى الأمير السعيد بالضبط ..
ونظر حوله وقال لنفسه :

- « لادى الآن غرفة نوم ذهبية .. »

واستعد للنوم ، لكن ما إن وضع رأسه تحت جناحيه

حتى سقطت قطرة من الماء عليه ..

- « أى شيء غريب ! لا توجد سحابة واحدة في

السماء .. النجوم لامعة متألقة .. وبرغم هذا السماء

تمطر .. إن الطقس في شمال أوروبا غريب حقاً .. »

هنا سقطت قطرة أخرى فوقه ..

- « ما نفع التمثال إن لم يستطع منع الأمطار ؟ يجب

أن أفتش عن فتحة مدفاة .. »

وتنهياً للطيران .. هنا سقطت قطرة ثالثة عليه فرفع

رأسه لأعلى ليرى .. فما الذى رآه ؟

كانت عينها الأمير السعيد مفصّلتين بالدموع .. وكانت

الدموع تتحدر على خديه الذهبيتين .. كان وجهه جميلاً

في ضوء القمر حتى إن السنونو شعر بالشفقة .. وقال :

- « من أنت ؟ »

- « أنا الأمير السعيد .. »

- « ولماذا تبكى إذن ؟ لقد أغرقتى بالماء »

قال التمثال :

- « حين كنت حياً ولى قلب إنسان لم أكن أعرف
كنه الدموع .. كنت أعيش فى قصر لا يسمح للحزن
بدخوله .. فى النهار كنت ألهو ورفاقى فى الحديقة
وفى المساء كنت أقود جماعة لرقص .. كان هناك سور
عل حول القصر ، لكنى لم أحاول قط أن أرى ما وراء هذا
السور .. كان ندمائى يطلقون على اسم (الأمير السعيد)
وقد كنت بالفعل سعيداً ، لو كانت السعادة هى اللذة ..
كذا عشت وكذا مت .. والآن وضعونى فى هذا الموضع
العالى كى أرى كل القبح والبؤس فى مدينتى ..
وبرغم أن قلبى مصنوع من الرصاص فإنه ليس بوسعى
إلا أن أبكى .. »

قال السنونو لنفسه :

- « ماذا ؟ أليس من الذهب ؟ »

فقد كان مهذباً لا يعلن عن ملحوظات كهذه بصوت
عال .. هنا واصل التمثال الكلام :

- « بعيداً فى شارع ضيق يوجد بيت صغير .. أحد
التوافذ مفتوحة ومنها أرى امرأة جالسة إلى منضدة ..
وجهاها نحيل منك ، ويداهما حمراوان خشنتان مليئتان
بثقوب الإبر لأنها خياطة .. إنها تطرز الزهور فى
تنورة ستلبسها أجمل وصيقات الملكة فى حفل الرقص
القادم .. فى الفراش يرقد ابنها مريضاً .. إنه محموم يطلب
برتقالاً وليس لدى أمه ما تعطيه إلا ماء النهر لذا
يصرخ .. أيها السنونو .. أيها السنونو الصغير .. هلا
أعطيتها اليقظة الموجودة على مقبض سيفى ؟ إن قمتى
مثبتتان إلى هذه القاعدة ولا يمكننى الحركة .. »

قال السنونو :

- « إن هناك من ينتظرنى فى مصر .. رفاقى الآن
عند النيل فى أرض مصر ، يتكلمون مع زهور اللوتس
الكبيرة .. ولسوف ينامون سريعا فى مقبرة الملك
الأعظم .. إن الملك يتلم هناك فى تابوت ملون وقد التفت
بالكتان الأصفر ، وحنط بلطوب .. يداها كالأوراق المجعدة
وحول عنقه سلسلة من اليشب الأخضر .. »

قال الأمير :

- « أيها السنونو الصغير .. هلا بقيت معي ليلة واحدة
وصرت مبعوثي ؟ إن الصبي محبوم وقلمان .. والأم
حزينة .. »

قال السنونو :

- « لا أحسبني أحب للصبي .. في الصيف الماضي
كنت عند النهر وكان هناك صبيان هما ابنا بلع الصوب ..
كلنا يقذفنا بالحجارة .. بالطبع لم يصيبنا لأنا معشر
العصفور نجيد الطيران .. أضف لهذا أنني جئت من
أسرة تمتاز بالسرعة .. لكن كانت هذه علامة على عدم
الاحترام برغم كل شيء .. »

لكن الأمير بدا حزيناً إلى حد أن السنونو ندم على
ما قال .. وقال :

- « لطفك بارد هنا للغاية .. لكنني سأبقى معك ليلة
وأكون مبعوثك .. »

قال الأمير :

- « شكراً أيها السنونو .. »

وهكذا التقط السنونو الياقوتة من مقبض السيف ،
وحملها في منقلبه وحلق فوق أسقف البيوت .. مر فوق
برج الكاتريفة حيث التماثيل الرخامية .. ومر فوق القصر
وسمع صوت الرقصات .. وخرجت حسناء إلى الشرفة
مع حبيبها فقال لها :

- « كم أن النجوم جميلة ! وكم أن الحب قوي ! »
قالت له :

- « أتمنى أن يكون ثوبي جاهزاً للحفل الراقص ..
لكن الخياطة كسول .. »

طار فوق النهر ورأى الفواتيس المعلقة فوق
الزوارق .. وطار فوق الجيتو ورأى اليهود المسنين
يسلمون ويزنون الدراهم ..

في النهاية بلغ المنزل ونظر بالداخل .. كان الصبي
يتقلب محبوماً في فراشه والأم نائمة .. وثب للداخل ووضع
الياقوتة على المنضدة جوار المرأة ..

ثم حلق فوق الفراش ليقلب بعض الهواء إلى جبين
الطفل الملهب ..

قال الطفل :

- « كم أشعر بالبرد .. لابد أنني أتحمس .. »

وغاص في نوم عميق لذيق ..

ثم إن السنونو حلق عائداً إلى الأمير السعيد وأخبره
بما قام به :

- « هذا غريب لكنني أشعر بالدفء برغم أن الطقس
بارد .. »

قال الأمير :

- « هذا لأنك قمت بعمل خير .. »

فكر السنونو قليلاً ثم غرق في النوم .. كان التفكير
دوماً يجلب النعاس إلى عينيه ..

حين بزغت الشمس طار إلى النهر واستحم ..

قال أستاذ علم الطيور وهو يمشي على الجسر :

- « هذا غريب ! سنونو في الشتاء ! »

وكتب خطاباً طويلاً عن هذه الظاهرة إلى الجريدة
المحلية .. وكان الخطاب مليئاً بكلمات معقدة لم يفهمها
أحد ..

قال السنونو وقد ارتفعت مضوياته :

- « الليلة أنطلق إلى مصر .. »

زار كل المعالم المهمة في المدينة وكلما قصد مكاناً ،
غرقت العصفير وقالت :

- « ياله من غريب متميز ! »

وحين ارتفع القمر عاد إلى الأمير السعيد :

- « هل لديك مهمات في مصر ؟ لنا سأطلق الآن .. »

قال الأمير :

- « أيها السنونو .. أيها السنونو الصغير .. هلا ظلت
معي ليلة أخرى ؟ »

أجاب السنونو :

- « هم ينتظرونني في مصر .. غذا يسافر رفاقي إلى

للشلال الثقى .. حيث أقراست النهار تتوارى بين الشجيرات ،
وعلى عرش ضخم من الجرانيت يجلس تمثال (ممنون) ..
طيلة الليل يرقب النجوم وحين تبرز شمس النهار يطلق
صيحة سرور ثم يعود إلى الصمت .. وعند الظهيرة
تأتى الأسود الصفراء إلى حافة النهر لتشرب ..
وزنيرها أعلى من زنير الشلال .. »

قال الأمير :

- « عبر المدينة أرى شاباً يعيش فى سقيفة .. إنه
ينحنى على منضدة تغطيها الأوراق .. وجواره باقة
أزهار بنفسج ذابلة .. له عينان حالمتان واسعتان وشفقتان
حمراون ، وهو يحول الانتهاء من كتابة مسرحية لمسرح
المدينة .. لكن البرد يمنعه من المزيد من الكتابة ..
لأنار فى السقيفة والسغب يجعله يفقد الوعي .. »

قال السنونو الذى كان طبيب القلب بالفعل :

- « لسوف أبقى معك ليلة أطول .. هل أحمل له
ياقوتة أخرى ؟ »

- « للأسف لم يعد لدى ياقوت .. عيناى هما مابقى
لى ، وهما مصنوعتان من الزفير النادر الذى جىء به
من الهند من ألف عام .. انتزعتهما وخذهما له ..
ولسوف يبيعهما للصائغ ويبتاع طعاماً وحطباً .. من
ثم ينتهى من كتابة مسرحيته .. »

قال السنونو وهو يبكى :

- « أيها الأمير العزيز .. ليس بوسعى أن أفعل هذا .. »

قال الأمير :

- « أيها السنونو .. أيها السنونو الصغير .. افعل
كما أمرك .. »

هكذا وجد السنونو نفسه مرغماً على انتزاع الزفير ،
وحلق نحو غرفة الكاتب .. كان الدخول سهلاً لأن
السقف كانت فيه فتحة واسعة .. كان الشاب قد دفن
رأسه بين كفيه فلم يسمع صوت رفيف جنلقى السنونو ..
وحين رفع وجهه وجد قطعة الزفير فوق أزهار
البنفسج الذابلة ..

صاح :

- « لقد بدأ الناس يشعرون بقيمتي .. هذه الجواهر من
معجب عظيم ولا شك .. الآن يمكنني أن فهي مسرحيتي .. »
وبدا مسرورا جدا ..

في الصباح التالي طار العصفور إلى الميناء ،
وراح يراقب البحارة وهم يرفعون صناديق كبيرة
مربوطة بالحبال .. صاح السنونو :

- « أنا ذاهب إلى مصر ! »

لكن أحدا لم يبال به ، وحين ارتفع القمر عاد إلى
الأمير السعيد ..

- « جئت كي أودعك .. »

- « أيها السنونو .. أيها السنونو الصغير .. ألا تبقى
معي ليلة أخرى ؟ »

قال السنونو :

- « إنه الشتاء .. ولسوف يأتي الجليد سريعا .. في



مصر الشمس لاذقة شرق على أشجار التخيّل، ولتمسّيح
تنصّ في الوحل ناظرة في كمثل إلى ما حولها ..
رفاقى بينون عشنا في معبد (بطبك) * واليمام الأبيض
يراقبهم .. أيها الأمير العزيز .. يجب أن أتركك ..
لكنتى في الربع سأجلب لك جوهرتين جميلتين بدلاً
من اللّتين تخليت عنهما .. لياقونة ستكون أكثر احمراراً
من الوردية، والزفير سيكون أكثر زرقة من البحر ..

قال الأمير :

- « في الميدان تحتى هناك بائعة ثقاب صغيرة ..
لقد سقط الثقاب منها في البلوعة، وسوف يضربها أبوها
بسبب هذا .. إنها تبكى .. راسها الصغير عار وقمماها
حافيتان .. خذ عيني الأخرى وأعطها إياها .. »

قال السنونو :

- « سألقي ليلة أخرى .. لكن لو انتزعت عينك ستصير
أعمى تماماً .. »

(*) طبخاً من الواحج أن الشاعر لا يعرف عن مصر الكثير

- « أيها السنونو .. أيها السنونو الصغير .. افعل
كما أمرك .. »

من ثم انتزع الزفير وانطلق إلى حيث بائعة الثقاب
الصغيرة .. وألقى الجوهرة في كفها ..

صاحت الفتاة :

- « يالها من قطعة زجاج جميلة ! »

وانطلقت نحو البيت وهي تضحك ..

عاد السنونو إلى الأمير وقال له :

- « أنت الآن أعمى .. وسوف أبقى معك للأبد .. »

- « لا أيها السنونو الصغير .. يجب أن تذهب إلى

مصر .. »

قال السنونو :

- « بل سألقي معك للأبد .. »

ونام عند قدمي الأمير ..

في اليوم التالي ظل يقف على كتف الأمير ويحكي له
قصصاً غريبة عما شاهده .. حكي له عن طيور (أبو منجل)
التي تقف صلوفاً على حافة النيل لتصطاد السمك بمنقرها ..
وعن أبي الهول الذي هو أقدم من الدنيا ذقتها ويعرف
كل شيء .. وعن التجار الذين يمشون الهوينى جوار
جمالهم ، ويحملون مسابح من العنبر بين أصابعهم ..
عن ملك جبال القمر الذي هو أكثر سواداً من الأبنوس ،
ويعد جوهرة كبيرة .. عن الثعبان الأخضر العظيم الذي
يعيش في شجرة ويغنى به عشرون كاهناً .. عن الأقزام
الذين يسبحون في النهر راكبين على أوراق شجر
ضخمة ، وهم في حرب دائمة مع الفراشات ..

قال الأمير :

- « أيها السنونو الصغير العزيز .. أنت تحكي لي
أشياء مذهلة .. لكن الأكثر غرابة هو معاناة الناس ..
لا يوجد نفر أكثر استغلاً من الشقاء .. طر فوق المدينة
وأخبرني بما تراه هناك »

وطار السنونو فوق المدينة .. رأى الأثرياء ينعمون

في قصورهم بينما الشحانون يتسولون أمام الأبواب ..
طار في الأرقعة ورأى وجوه الأطفال الجياع البيضاء
الشاحبة ..

وتحت الجسر رأى غلامين ينلمان وقد احتضنا بعضهما
طلباً للدفء :

- « كم نحن جائعان ! »

صاح خفير الدرك :

- « ليس لكما أن تتاما هنا ! »

من ثم فر الغلامان إلى المطر .. وعاد السنونو إلى
الأمير يخبره بما رأى ..

- « أنا مغطى برقائق الذهب .. أنزعها واحدة واحدة ..
أعطيها للناس الذين يحسبون أن الذهب سيجعلهم أكثر
سعادة .. »

لتنقذ السنونو ورقة تلو أخرى من الذهب ، حتى صار
الأمير السعيد رمادياً كنيب المنظر .. ورقة تلو أخرى
يحملها إلى الفقراء ، حتى ازدادت وجوه الأطفال توردًا
ورلحوا يضحكون ويلعبون ..

- « لقد صار لدينا الخبز الآن ! »

ثم جاء الثلج وبعده الجليد .. وبدأت الشوارع كأنما هي من فضة ، ولرئى الجميع الفراء .

ازداد شعور السنونو البائس بالبرد .. لكنه لم يرد أن يفارق الأمير . فقط راح يحاول أن يتدفأ بتحريك جناحيه .. لكنه فى النهاية عرف أن موته قريب .. استجمع قواه وطار إلى كتف الأمير وقال له :

- « وداعاً أيها العزيز .. هل لى أن ألثم يدك ؟ »

قال الأمير :

- « يسعنى أنك ذاهب إلى مصر أخيراً أيها السنونو الصغير .. لكن أرجو أن تلثم شفتى فإتنى أحبك .. »

- « لست ذاهباً إلى مصر ولكن إلى بيت الموت .. إن الموت شقيق النوم .. أليس كذلك ؟ »

ولثم ثغر الأمير ثم هوى ميتاً عند قدميه ..

فى هذه اللحظة دوى صوت شرخ غريب من داخل التمثال كأنما تحطم شيء .. الحقيقة أن قلب الأمير الرصاصى انشطر إلى نصفين ..

فى الصباح كان الصدة يمشى فى الميدان مع أعيان البلدة .. مروا بالعمود قرأوا التمثال :

- « رباه ! ما أقبح الأمير السعيد ! »

صاح الأعيان الذين لم يختلفوا مع الصدة قط :

- « ما أقبحه فعلاً .. لم تعد البلقوتة فى سيفه وعيناه تلاشتا .. ولم يعد مكسواً بالذهب .. »

- « إنه ليس أفضل حالاً من الشحاذين .. وهناك طير ميت على قدمه .. علينا أن ننشر إعلاناً يمنع الطيور من أن تموت هنا .. »

وقال أستاذ الفنون فى الجامعة :

- « ما دام لم يعد جميلاً فهو لم يعد مفيداً .. »

وهكذا شنوا التمثال وذاّبوه فى فرن كبير ، ثم عقد الصدة اجتماعاً للمجلس البلدى ، لتحديد ما يمكن عمله بالمعنى المنصهر ..

- « سنصنع تمثالاً آخر .. ولنسوف يكون هذا التمثال لى .. »

تصايح الأعيان وكل منهم يريد التمثال لنفسه ..
وآخر ما سمعت أنهم مازالوا يتشاجرون .. ولاحظ
العمال أن القلب لا ينصهر لهذا تخلصوا منه في القلمة
حيث كانت جنة السنونو ..

* * *

قال الخالق لملائكته :

« هاتوا لى أئمن شينين فى تلك المدينة .. »

وعاد الملائكة للخالق بقلب التمثال الرصاصى
وجنة السنونو ..

« لقد أحسنتم الاختيار ، لأنه فى حدائق جنتى سوف
يفرد هذا الطائر للأبد .. وفى مدينتها الذهبية سيمسح
هذا الأمير السعيد بجمدى .. »

* * *

العندليب والوردة ..

صاح التلميذ :

« قالت إنها سترقص معى لو جلبت لها وردًا
أحمر .. لكن لا يوجد ورد أحمر فى حديقتى .. »

سمعه البهبل من عشه فى السنديانة ونظر من بين
الأوراق متصلاً ..

« لا وردة حمراء فى حديقتى .. »

قالها التلميذ وامتلات عيناه الجميلتان بالدموع ..
« آه .. ما أصغر الأشياء التى تعتمد عليها سعادتنا ..
لقد قرأت كل ما كتبه الحكماء .. وملك كل أسرار الفلسفة ،
لكن من أجل وردة حمراء تصير حياتى شقاء .. »

قال البهبل :

« هنا أخيراً عاشق حقيقى .. ليلة تلو ليلة غنيت
له برغم أننى لم اعرفه قط .. ليلة تلو ليلة حكيت قصته

لـلنـجـوم .. وـالآن أراه .. شعـره أسود كبرعم الزنبق ..
شفتاه حمراوان كالورد .. لكن العاطفة جعلت وجهه بلون
العاج ، ووضع الأسي خاتمه على حاجبيه .. »

غمغم التلميذ :

- « الأمير يقيم حفلاً رائعاً مساء غد .. وحببتي
ستكون هناك .. لو جلبت لها وردة حمراء فلسوف
ترقص معي حتى الفجر .. لو جلبت لها وردة حمراء
فلسوف أحتويها في ذراعي .. فلسوف تريح رأسها على
كتفي ، فلسوف أحتوي يدها في يدي .. لكن مامن وردة
حمراء في حبيبتي ولذا سأجلس وحيداً .. فتمر هي بي ..
لن تحتاج إلي .. فلسوف يتحطم قلبي .. »

قال البلبل :

- « هذا عشق حقيقي بالفعل .. ما أغنى له يعنيه هو ..
وما يمثل السعادة لي هو الأكم له .. إن الحب شيء ثمين ..
لنمن من لزمرد وأعز من (الأوبل) .. لنولف لا يقدر على
ابتياعه وهو لا يباع في الأسواق .. ولا يمكن أن يوزن
بموازين الذهب .. »

قال التلميذ :

- « لسوف يقف الموسيقيون ويعزفون على آلاتهم
الوترية .. فلسوف ترقص حبيبتي على أنغام القيثارة
والكمان .. لسوف ترقص بخفة حتى إن قلميها لن تلمس
الأرض .. فلسوف يلتف حولها المغفلون .. لكنها لن
ترقص معي لأنني لأمك وردة حمراء أعطيها إياها .. »

ورمى بنفسه على الأرض ، ودفن وجهه في يديه ويكي ..
وتساءلت سحلية خضراء جرت بجواره :

- « لماذا يكي ؟ »

وتساءلت فراشة تحلق في شعاع الشمس :

- « حقاً لماذا ؟ »

وهمست زهرة لقحوان لجارتها في صوت خفيض :

- « حقاً لماذا ؟ »

فقال البلبل :

- « يكي من أجل وردة حمراء .. »

صاحوا :

- « وردة حمراء ؟ يا المسخف ! »

وضحكت السحلية التي كانت أميل إلى السخرية ..
لكن البابل فهم تعاسة التلميذ وجلس على السندياتة
يفكر في لغز الحب ..

فجأة فرد جناحيه البنين ملحقًا ، وتطلق في السماء ..
خلق فوق الحديقة كلال .. وفي وسط المرج كتبت شجرة
الورد .. فلما رآها حط على غصن صغير وقال :

- « أعطيني وردة حمراء ، وسوف أغني لك لأحلى
أغنية عندي .. »

لكن الشجرة هزت رأسها وأجابت :

- « ورودي بيضاء .. بيضاء كزبد البحر وأكثر بياضا
من الثلج على قمم الجبال .. لكن اذهب إلى أختي عند
الساعة الشمسية فلربما تمنحك ما تريد .. »

لذا خلق البابل نحو شجرة الورد عند الساعة
الشمسية ، وصاح :

- « أعطيني وردة حمراء ، وسوف أغني لك لأحلى
أغنية عندي .. »

لكن الشجرة هزت رأسها وأجابت :

- « ورودي صفراء .. صفراء كشعر عروس البحر
الجالسة على عرش من العنبر .. وأكثر اصفرارًا من
زهور المرجس في المرج قبل أن يأتى من يجرز العشب
حاملًا منجله .. لكن اقصد أختي التي تنمو جوار نافذة
التلميذ فلربما تمنحك ما تريد .. »

هكذا خلق البابل نحو شجرة الورد التي تنمو جوار
نافذة التلميذ .. وقال لها :

- « أعطيني وردة حمراء ، وسوف أغني لك لأحلى
أغنية عندي .. »

لكن الشجرة هزت رأسها وأجابت :

- « ورودي حمراء .. حمراء كقلمي يمامة .. وأكثر
احمرارًا من مراوح شعاب المرجان التي تتموج وتتموج
في كهوف المحيط .. لكن الشتاء قد جمد أوصالي ،
والعواصف هتفت غصوني ، وإن نظرت بزهور هذا العلم .. »
صاح البابل :

- « وردة حمراء واحدة هي كل ما أبغيه .. فقط وردة
حمراء ! هل من طريقة أظفر بها ؟ »

قالت الشجرة :

- « ثمة طريقة لكنها شنيعة ، إلى حد أنى لا أجسر
على إخبارك بها .. »

قال البهبل :

- « قولها لى فليست خائفاً .. »

- « لو أردت وردة حمراء ، فعليك أن تصنعها من
الموسيقا فى ضوء القمر ، وتصبغها بالدم من قلبك ..
عليك أن تغنى لى وصدرك منضغط إلى شوكة .. طيلة
الليل يجب أن تغنى لى والشوكة تخرق قلبك ، ويجب
أن ينساب دم حياتك فى عروقى .. ويصير لى .. »

صاح البهبل :

- « الموت ثمن باهظ يدفع لوردة حمراء .. والحياة
عزيزة على الجميع .. من الجميل أن يجلس المرء فى
الغابة الخضراء ، ويرقب الشمس فى مركبتها الذهبية ،
والقمر فى مركبته النولوية .. عذبة هى راحة زهرة
الزعرور ، وعذبة هى زهور (بلوبيل) فى الوادى ، وزهور

الخنزج لى تطير فوق لى .. لكن الحب أجمل من الحياة ..
وما قيمة قلب الطائر بالنسبة لقلب إنسان ؟ »

من ثم خلق البهبل إلى الهواء .. خلق فوق الحقيقة
كظل .. وكظل خلق فوق الروضة ..

كن التلميذ مازل جليسا على العشب والدموع لم تجف
بعد من عينيه الجميلتين ..

صاح البهبل :

- « كن سعيدا .. كن سعيدا فلسوف نظفر بوردتك
الحمراء .. سألصنعها من لقاء فى ضوء القمر ، وأصبغها
بدماء قلبى .. كل ما أطلبه منك أن تكون محبا حقيقيا
لأن الحب أكثر حكمة من الفلسفة .. وأقدر من القوة ..
جناحاه يلون النار ويلون النار جسده .. شفتاه حلوتان
كالصل ، وأنفاسه عطرة كالبخور .. »

نظر الفتى لأعلى وأصغى .. لكنه لم يع ما يقوله
البهبل له ، لأنه كان يعرف فقط تلك الأشياء المكتوبة فى
الكتب .. لكن السنديلة فهمت وشعرت بالأسى ، لأنها كانت
تحب البهبل الصغير الذى اتخذ عشه بين أغصانها ..

قالت له :

- « غن لي أغنية لخيرة ، فلسوف أشعر بالوحدة حين
ترحل أنت .. »

لذا غنى للبلبل للشجرة وكان صوته كالماء ينساب من
إناء فضي ..

انتهى للبلبل من الغناء فهض للتلميذ وأمسك بمفكرة
وراح يكتب فيها :

- « إن له جمالاً لا يمكن إنكاره .. لكن هل لديه إحساس ؟
أخشى أن لا .. في الحقيقة هو مثل أكثر الفنانين .. له أسلوب
خلاب لكنه يفتقر إلى الإخلاص .. ولن يضحى بنفسه
للآخرين .. كلنا نعرف أن الفنون أنانية بطبيعتها .. لكن
لا تنكر أن في صوته نغمت سحرية .. ومن المؤسف أنها
لا تعبر عن أي شيء ، وليس لها نفع عملي .. »

ثم دخل إلى حجرته فتمدد في فراشه ، وراح يفكر
في حبيبة قلبه حتى غلبه النعاس ..



وحين بزغ القمر في السماء ، طار البلب إلى شجرة
الورد وألصق صدره بالشوكة .. ومثل القمر البلوري
البارد يصفى ..

طيلة الليل ظل البلب يقى وصدره منصق بالشوكة
التي توغلت أعمق فأعمق في قلبه ، وراح لم الحياة
يتسرب منه ..

غنى لميلاد الحب في قلب فتى وفتاة .. ومن شجرة
الورد ظهر برعم جميل وبدأت بتلاته تزداد بينما الأغصان
تتوالى .. في البدء كنت شاحبة كلضباب فوق قنهر ،
فضية كجناحي الفجر ..

كظل زهرة في مرآة من فضة .. كظل زهرة في المياه ،
بدت للوردة التي بدأت تولد على غصن من الشجرة ..
لكن الشجرة توصلت إلى البلب أن يضغط بصدره أكثر
على الشوكة :

- « اضغط أكثر أيها البلب وإلا بزغت الشمس قبل
أن تولد الوردة .. »

غنى البلب بصوت أعلى ، وبدأ لون وردى رقيق
يتسرب إلى أوراق الوردة .. كأنها الحمرة التي تغزو
وجه عريس يلقي عروسه .

وصاحت للشجرة في البلب :

« اضغط أكثر أيها البلب وإلا بزغت الشمس قبل
أن تولد الوردة .. »

ضغط البلب أكثر فتطاقم الألم ، وكان قاسياً مريراً
مريراً .. لذا ترددت أغنيته لما .. راح يتزعم بقصص الحب
التي تموت لكن ليس في القبور ..

وصارت الوردة قرمزية .. قرمزية مثل الياقوت ..

ترداد وهن صوت البلب وراح جناحاه الصغيران
يرجفان ، وخيمت غشاوة على عينيه .. وشعر بشيء
يخفقه .. عندئذ أطلق موجة موسيقا أعلى سمعها القمر
الشاحب فنمى الفجر ..

سمعها الوردة الحمراء ، فارتجفت وفتحت بتلاتها
لهواء الصباح المبكر ..

حملها الصدى إلى التلال فصحا الرعاة من نومهم ..
طفت فوق النهر فحملتها الطيور إلى البحار ..

صاحت الشجرة :

- « انظر ! لقد اكتملت الوردة الآن .. »

لكن البلب لم يرد لأنه كان ميتاً وسط الأعشاب والشوكة
في قلبه ..

وعند الظهيرة فتح التلميذ نافذته ، وصاح :

- « ياله من حظ رائع ! هنا وردة حمراء ! أنا لم أر
قط وردة حمراء كهذه في حياتي .. إنها جميلة إلى
حد أنني متأكد من أن لها اسماً لاتينياً طويلاً .. »

واقطفها واعتمر قبعتها وجرى إلى بيت أستاذة والوردة
في يده .. كانت ابنة الأستاذ جلسة هناك وكلبها عند قدميها ..

صاح التلميذ :

- « قلت إنك سترقصين معي لو جلبت وردة حمراء ..
ها هي ذي أكثر الورود حمرة في العالم .. الليلة تضعينها
جوار قلبك ، وبينما نرقص معاً ، سوف تخبرك كم أحبك .. »

لكن الفتاة قطبت ، وقالت :

- « يوسفني أنها لا تتناسب مع ثوبي .. بالإضافة لهذا
أرسل لي ابن أخ (شامبرلين) مجوهرات حقيقية ..
وكلنا يعرف أن المجوهرات أغلى ثمناً من الورود .. »

قال التلميذ في غضب :

- « أقسم بالله إنك جاحدة .. »

ولقي الوردة في الشارع حيث سقطت وداستها عجلات
عربة مارة ..

قالت الفتاة :

- « جاحدة ! سأخبرك بشيء .. أنت غليظ الطباع ، وبعد
هذا كله .. من أنت ؟ أنت مجرد تلميذ .. لا أعتقد أن لديك
أربطة فضية لحذاءيك مثلما يملك ابن أخ (شامبرلين) .. »
ونفضت من مقعدها ودخلت البيت ..

قال التلميذ وهو عائد لداره :

- « ما أسخف الحب ! إنه ليس في نصف منفعة علم
المنطق .. لأنه لا يبرهن على شيء .. وهو يخبرك فقط
بالأشياء التي لن تحدث ، ويجعلك تؤمن بأشياء لا وجود
لها .. في الحقيقة الحب غير عملي بل مرة .. لسوف أعود
لدراسة الفلسفة والميتافيزيقا .. »

لذا عاد إلى داره وتناول كتاباً ضخماً يكسوه الغبار ،
وراح يقرأ ..

* * *

العلاقات الأناى ..

اعتاد الأطفال كل عصر وهم عائدون من المدرسة ، أن يلعبوا فى حديقة العملاق ، كانت حديقة جميلة بها عشب ناعم أخضر ، وفوق العشب كنت ترى هناك وهناك زهوراً جميلة كالنجوم .. وكنت هناك اثنتا عشرة شجرة خوخ تعطى ثماراً لذيذة .. وكنت الطيور تجلس على الفصون وتغنى أجمل الأغاني ، حتى إن الأطفال كانوا يكفون عن اللهو ليصفوا إليها .

وكانوا يتصاحبون :

« شد ما نحن سعداء هنا !! »

ذات ليلة عاد العملاق ، كان قد ذهب لزيارة صديقه الغول فى (كورنويل) ، وبقي معه سبع سنوات ، وبعد سبعة الأعوام كان قد فرغ من قول كل ما يريد قوله

لأنه كان لا يطيل الكلام ، وقرر العودة إلى قلعة ، حين بلغها رأى الأطفال يلعبون فى الحديقة ، فصاح بصوت غليظ :

« ماذا تعملون هنا ؟ »

فبادر الأطفال بالفرار .

قال العملاق :

« حديقتى هى حديقتى .. يمكن لأى واحد أن يفهم هذا ، ولن أترك واحداً يلعب فيها ما عداى .. »
لذا ابتنى جداراً حولها ، ووضع لافتة تقول :

المتعدون سيعاقبون

كان عملاقاً شديد الأناى .. ولم يعد لدى الأطفال اليوساء من مكان يلعبون فيه ، حاولوا اللعب على الطريق لكنه كان مغبراً مليئاً بالصخور الصلبة ولم يرق لهم ، واعتلوا أن يدوروا حول الجدار حين تنتهى دراستهم ويتكلموا عن الحديقة الجميلة بالداخل .

وكانوا يقولون :

- « كم كنا سعداء هناك ! »

ثم جاء الربيع وانتشرت براعم الزهور والطيور الصغيرة في البلاد .. فقط في حديقة الصلح الأتني ظل لشتاء مقيما ، فالطيور لم تبال بالغناء هناك حيث لا يوجد أطفال ، والأشجار نسيت أن تخرج زهورها ، ذات مرة أخرجت زهرة رأسها من بين الأعشاب لكنها أبصرت اللقطة ، فأسفت من أجل الأطفال وعادت برأسها إلى الداخل .

لم يكن هناك من سره الحال سوى الثلج والصقيع ، وقد صاحبا :

- « الربيع قد نسي هذه الحديقة .. ولنسوف نظل هنا طيلة العام .. »

وغطى الثلج العشب بعاءته البيضاء ودهن الصقيع الأشجار باللون الفضي ، ثم إنهما دعيا الريح الشمالية كي تأتي فجاءت ، كانت مندثرة بالفراء وقد ظلت تعوي حول الحديقة طيلة اليوم وقالت :

- « هذا مكان مبهج .. يجب أن تدعو البرد لزيارة .. »

وجاء البرد .. وظل يضرب القلعة كل يوم حتى حطم أكثر الألواح في السقف ، ثم راح يجري في الحديقة بأقصى سرعة له ، كان مدثرا في الرمادي وأنفاسه كالجليد .

قال الصلح الأتني :

- « لا أفهم لماذا تأخر الربيع كل هذا .. أرجو أن يتغير الطقس .. »

لكن الربيع لم يأت قط ولا الصيف .. وجاء الخريف بثمار ذهبية لكل الحقائق ما عدا حديقة الصلح وقال :

- « إنه أتني .. »

وهكذا لم يكن في الحديقة سوى الثلج والصقيع والريح الشمالية والبرد يرقصون بين الأشجار ..

ذات صباح كان الصلح راقدًا متيقظًا في فراشه سمع موسيقا جميلة ، بدت رائعة إلى حد أنه حسب موسيقى

الملك يمرون بالدار ، كان هذا طائرًا صغيرًا يقف
خارج النافذة لكن كان قد مضى دهر منذ سمع غناء
طائر في الحديقة حتى إنه شعر بأن هذه أجمل موسيقا
في الكون .

ثم إن الصلي شمع عطرًا جميلًا فقال :

- « لا بد أن الربيع جاء أخيرًا .. »

ووثب من الفراش ونظر خارج النافذة فماذا رأى ؟
رأى أجمل منظر في العالم .. لقد زحف الأطفال
إلى الحديقة من فتحة في الجدار ، وفوق غصن كل
شجرة كان هناك طفل صغير .. وكانت الأشجار في
غاية السرور لرؤية الأطفال حتى إنها تغطت بالبراعم
وراحت تلوح بأذرعها فوق رؤوس الأطفال .

الطيور كانت تقف والزهور أطلت برأسها من العشب
الأخضر وراحت تضحك ، كان مشهدًا جميلًا إلا أنه
في ركن من الحديقة ظل الشتاء ، في هذا الركن كان
صبي صغير يقف .. كان صغيرًا إلى حد أنه لم يستطيع

الوصول إلى غصن شجرة .. وظلت الشجرة البائسة
مكسوة بالصقيع .. اتحت بغصونها وراحت تصيح :
- « تسلي أيها الصبي .. تسلي ! »

لكن الصبي كان صغير الحجم .. وذاب قلب الصلي
حين رأى المشهد :

- « كم كنت ألتفت ! الآن عرفت لماذا لم يذرنى
الربيع .. لسوف أضع الصبي على غصن الشجرة ،
ثم أهدم الصور وتعود حديقتي ملعبًا للأطفال .. »

وخرج إلى الحديقة ، فما إن رآه الأطفال حتى فروا
رعبًا وعاد الشتاء إلى الحديقة .. فقط الصبي الصغير
ظل هناك لأن عينيه كانتا غارقتين في الدموع فلم
ير الصلي ..

حملة الصلي على يديه برفق ووضعها على الشجرة ،
فلزهرت الشجرة وعانت الطيور نقى .. احتضن الصبي
الصلي وثمه على خده ..

هنا عاد الأطفال وقد رأوا أن الصلي لم يعد شريرًا
كما كان .. ومعهم عاد الربيع .

- « هذه حديقكم الآن أيها الأطفال .. »

قَالهَا العملاق وتناول فأسًا وحطم السور .. وحين ذهب الناس إلى السوق في الثانية عشرة ظهرًا وجدوا العملاق يلهو مع الأطفال في أجمل حديقة في العالم .

ظلوا يلعبون طوال اليوم ، وفي المساء راحوا للعملاق ليودعوه ، فقال لهم :

- « ولكن أين رفيقكم الصغير ؟ الذي وضعته فوق الشجرة .. »

أجاب الأطفال :

- « لا نعرف ... لقد رحل .. »

قال العملاق :

- « قولوا له أن يحضر هنا غدا .. »

لكن الأطفال قالوا إنهم لا يعرفون أين يسكن ولم يروه قط من قبل .. مما أحزن العملاق ..

وفي كل عصر بعد ساعات المدرسة كان الأطفال يلعبون مع العملاق .. لكن الصبي الذي أحبه العملاق لم يظهر قط ، وكان العملاق مشتاقًا له :

ومرت أعوام وازداد العملاق وهنًا وشيخوخة ، ولم يعد يستطيع اللعب لذا كان يجلس إلى مقعد كبير ويراقب الأطفال في أثناء لعبهم وينظر لحديقته :

- « إن لدى زهورًا جميلة لكن الأطفال أكثر للزهور جمالاً .. »

وفي صباح شتاء كان يرتدى ثيابه وينظر من النافذة ، لم يعد يكره الشتاء الآن لأنه عرف أنه ليس إلا الربيع نائمًا ، والزهور تستريح ، وفجأة فرك عينيه في عجب .. لقد كان بالتأكيد مشهودًا رائعًا .

ففي أقصى أركان الحديقة كانت شجرة كل أغصانها من الذهب ، وثمار فضية تتدلى منها ، وتحتها الطفل الصغير الذي أحبه .

جرى الصلّاء في الحديقة والمسور يفمره ، وعبر
العشب أسرع حتى بلغ الطفل ، فحين رآه عن كثب
احمر وجهه غضباً وصاح :

- « من جرؤ على أن يجرحك ؟ »

لأنه على يدي الصبي الصغيرتين وعلى قدميه
كانت آثار مخلبين كبيرين .

- « من جرؤ على أن يجرحك ؟ قل لي فلسوف
أخذ سيفي الكبير وأقتله .. »

قال الصبي :

- « لا أحد .. بل هي جروح للحب .. »

قال الصلّاء :

- « من أنت ؟ »

وفي قلبه سقطت رهبة غريبة ، وجثا على ركبتيه
فابتسم الطفل وقال له :

- « أنت تركتني ألعب في حديقتك .. واليوم سوف
تلعب معي في حدائق الجنة .. »
وحين جاء الأطفال عصراً وجدوا الصلّاء ميتاً
تحت الشجرة ، وقد تغطى جسده كله بالبراعم
البيضاء .

الصديق المخلص ..

ذات صباح أطل فأر الماء العجوز برأسه من جحره .. كانت عيناه صغيرتين كالخرز ، وله شاربان رماديان متصلبان ، كان البط الصغير يسبح في البركة كأنما هو حشد من طيور الكناريا الصفراء .. وكانت الأم البيضاء ذات الساقين الحمراءوين ، تعلم بطاتها كيف تقف في الماء على رعوسها .

قالت لهن كدأبها :

- « لن تظفرن بمكتة اجتماعية طيبة ما لم تتعلمن الوقوف على الرأس .. »

ومن آن لآخر كانت تربيهن بنفسها ، لكن البطات الصغيرات لم تبد اهتماما بها ، كن صغيرات جداً إلى حد أنهن لم يرين أهمية ما للمكانة الاجتماعية ..

صاح فأر الماء العجوز :

- « يا للأطفال العصاة ! إنهم يستحقون أن يفرقوا .. »

قالت البطة :

- « لا شيء من هذا .. لا بد لكل امرئ من بداية .. ولا يجب أن يفقد الأبوان صبرهما .. »

قال للفار :

- « آه .. أنا لا أعرف شيئاً عن شعور الآباء ، فليست رجل أسرة .. في الحقيقة أنا لم أتزوج قط ولا أزمع هذا .. إن الحب جميل لكن للصدقة اسمى منه بكثير .. لا أعرف في الكون ما هو أسمى ولا أندر من صديق مخلص .. »

سأله طائر أخضر يجلس على شجرة صفصاف :

- « وما هي من فضلك فكرتك عن واجبت الصديق المخلص ؟ »

قالت البطة :

- « فعلاً .. هذا ما أرغب في معرفته .. »

وسبحت إلى نهاية البركة ، ثم وقفت على رأسها
لتبين للبط مثلاً جيداً .

صاح فلر الماء :

- « ياله من سؤال سخيف ! أتوقع من صديقي
المخلص أن يخلص لي .. »

سأله الطائر وهو يتأرجح على غصن فضي وهو
يرفرف بجناحيه :

- « وماذا تفعل بالمقابل ؟ »

- « لا أفهمك .. »

- « دعني أحكي لك قصة ؟ »

سأله الفار :

- « وهل القصة عنى ؟ لو كان كذلك فسوف أصفى

لأكنى مغرم بالحكايات .. »

قال الطائر :

- « إنها تنطبق عليك .. »

وهبط على الضفة وراح يحكي قصة الصديق
المخلص .

قال الطائر :

- « كان ياما كان .. كان هناك شاب أمين اسمه
(هتزر) .. »

سأله الفار :

- « هل كان مرموقاً ؟ »

- « لا .. لا أحسبه مرموقاً على الإطلاق .. فيما
عدا قلبه للطيب ، ووجهه المرح المستدير ، عايش
وحيداً في كوخ صغير يعمل في حديقته ، ولم تكن في
الريف كله حديقة بجمال حديقته ، وكل أنواع الزهور
كانت في حديقته .. بحيث كانت هناك يوماً أشياء
مبهرة للنظر وللألف .. »

- « كان لدى (هتزر) أصدقاء كثيرون ، لكن أكثرهم
إخلاصاً له كان (هو) الطحان .. حقا كان مخلصاً له
إلى حد أنه لم يزر حديقته دون أن يحمله باقة ورد

أو حزمة من الأعشاب العطرية ، أو يملأ جيبه بالكرز
والبرقوق لو كان هذا موسم الفاكهة .. »

اعتاد الطحان أن يقول :

- « يجب أن يشترك الأصدقاء الحقيقيون فيما
يملكون .. »

فكان (هاتز) يهز رأسه ويبتسم ويشعر بالفخر
لأن له صديقاً يملك هذه الأفكار النبيلة .

وكان الجيران يندهشون أحياناً لأن الطحان الثرى
لم يعط (هاتز) شيئاً قط في المقابل ، برغم أن عنده
مائة جوال من الدقيق في طاحونته ، وست بقرات
وقطيع من الأغنام كثيرة الصوف ، لكن (هاتز) لم
يتعب نفسه بهذه الأمور ، ولم يسهه شيء في الدنيا
إلا سماع صديقه يتكلم عن الصداقة .

ومر الصيف والخريف على (هاتز) وجاء الشتاء ،
عندها لم يجد ما يبيعه في السوق ، وتألم كثيراً من
الجوع والبرد ، وصار يأوى إلى فراشه دون أن يجد
ما يأكله إلا بعض الكمثرى المجففة أو حفنة من

البندق .. كما أنه عانى الوحدة كثيراً لأن الطحان لم
يزره قط .

اعتاد الطحان أن يقول لزوجته :

- « لا جدوى من أن أزور (هاتز) مادام الجديد
مستمراً ، لأنه حين يقع الناس في مشاكل فمن الخير
تركهم وشأنهم وعدم مضايقتهم بالزيارات .. هذه
هى فكرتى عن الصداقة وأنا واثق من أنها صداقة ،
لسوف أزوره في الربيع وسوف يعطينى سلة من
الزهور ، وهذا سيجعله سعيداً .. »

قالت لزوجته وهى مسترخية فى مقعدها جوار النار :

- « بالتأكيد أنت تفكر بالآخرين كثيراً .. تعرف
عن الصداقة أكثر مما يعرفه القس نفسه .. »

تساعل أين الطحان الأصغر :

- « لكن ألا يمكننا دعوة (هاتز) إلى هنا ؟ لو كان
جائعاً سأعطيه نصف نصيبى من العصيدة ، وأجعله
يلعب مع لراتبى الأبيض .. »

صاح الطحان :

- « يالك من طفل سخيف ! حقاً لا أفهم جدوى إرسالك إلى المدرسة ، لو جاء (هاتز) هنا ورأى عشائنا الدسم ونارنا الدافئة ، فلسوف يغفر .. والحصد شيء شنيع يفسد طبيعة الإنسان ، ثم ربما لوجاء هنا لطلب منى بعض الدقيق نسيئة وليس هذا بوسعى ، الدقيق شيء والصدقة شيء آخر ، ألا ترى إن الكلمتين مختلفتان وكلتاهما تعنى شيئاً مختلفاً ؟ بوسع كل إنسان أن يرى هذا ! »

قالت الزوجة :

- « أحسنت الكلام .. »

- « أكثر الناس يستطيعون العمل جيداً ، لكن قليلين منهم يستطيعون الكلام الجيد .. مما يريك أن الكلام هو الأكثر صعوبة .. »

ونظر إلى ابنه الصغير ، الذى شعر بالخجل من نفسه فطأ رأسه وأحمر وجهه .. لكن سنه صغيرة إلى حد أنك تستطيع أن تسامحه ..

هنا تساعل قار الماء :

- « هل هذه نهاية القصة ؟ »

قال الطائر :

- « بالطبع لا .. بل هى البداية .. »

- « إذن أنت متأخر على العصر .. كل راو يارع للنقص اليوم يجب أن يبدأ القصة من نهايتها ثم يأتى لنهايتها وينتهيها فى وسطها ، لقد سمعت هذا الكلام من قاص كان يمشى جوار الماء مع نالقد .. لابد أن الرجل كان محقاً فقد كان أصنع الرأس بضع نظرة سوداء .. لكن استمر فى القصة فأتا معجب بالطحان ، إن التفاهم بيتنا شديد .. »

قال الطائر وهو يتوآب من سأل لأخرى :

- « حسن .. انتهى الشتاء .. وقال الطحان لامرأته إنه سيذهب ليزور (هاتز) الصغير . »

قالت الزوجة :

- « أنت دائم التفكير بالآخرين .. لا تنس أن تأخذ معك السلة من أجل التورود .. »

قال الطحان :

- « صباح الخير يا (هاتز) .. »

قال (هاتز) وهو يتوكأ على الرفش ، ويتنسم
ابتنسامة عريضة :

- « صباح الخير .. »

- « كيف كان حالك طيلة الشتاء ؟ »

- « جميل منك أن تسأل .. يوسفنى أنه كان وقتاً
قاسياً ، لكن الربيع عاد ولما سعيد الآن .. وزهورى
فى خير حال .. »

قال الطحان :

- « كنا نتكلم عنك طيلة الشتاء ، ويسرنى أنك تغلبت
عليه .. »

قال (هاتز) :

- « هذا كرم منك .. كنت خائفاً من أن تكون
نسيت أمرى .. »

- « للصدقة لا تنسى أبداً يا (هاتز) .. يوسفنى أنك
لا تعنى مفهوم الصدقة .. وبالمناسبة لاحظت أن
زهورك جميلة جداً .. »

- « بالفعل هى كذلك .. ولسوف أخذها إلى السوق
وأبيعها وأسترد بثمنها عربة اليد الخاصة بى .. »

- « تسترد عربة اليد ؟ لا تقل إنك بعثتها .. هذا
أغبى شيء فعلته فى حياتك .. »

قال (هاتز) :

- « الحقيقة هى أنني كنت مرغماً على هذا .. لقد
كان الشتاء عسيراً على .. ولم يكن لدى مال أبتاع
به الخبز .. لذا بعث الأرزار الفضية لسترة الأحد ، ثم
بعث سلسلتى الفضية .. ثم بعث غليونى الكبير وفى النهاية
عربة اليد .. لكنى سأستردها جميعاً الآن .. »

قال الطحان :

- « (هاتز) .. سأعطيك عربة اليد الخاصة بى ..
ليست فى حال ممتازة .. فثمة جانب غير موجود

وشىء خطأ فى العجالات ، لكن برغم هذا سأعطيك
إياها ، أعرف أن هذا كرم مبالغ فيه منى ، ولسوف
يعتقد الكثيرون من الناس أننى أحقق ، لكننى لست
كباقي العالم .. أعتقد أن الكرم هو أساس الصداقة
وروحها .. ثم إن عندى عربة يد .. »

قال (هاتز) وجهه الباسم يتألق بالسعادة :

- « حسن .. هذا كرم منك .. يمكننى إصلاحها
بسهولة فلدى خشب كثير فى البيت .. »

قال الطحان .. »

- « خشب كثير !! هذا ما أحتاجه لسطح مخزن الحبوب
عندى ، هناك ثقب كبير فيه ولسوف يتل القمح ما لم
أسده الآن . من الملحوظ أن العمل الطيب يلد عملاً طيباً
آخر . أعطيتك عربة اليد فأعطينى الخشب .. بالطبع
عربة اليد تساوى أكثر من الخشب بكثير لكن الصداقة
لا تبلى بأمور كهذه ، من فضلك هلت الخشب سريعاً
ولسوف أبداً العمل اليوم .. »

جرى (هاتز) إلى المنزل وأخرج الخشب .

قال الطحان :

- « ليس خشباً كثيراً .. وأخشى أنه بعد أن أصلح
سقفى لن يبقى لك ما يكفى لإصلاح العربة ، لكن هذا
بالتأكيد ليس خطئى . والآن وقد أعطيتك عربتى فبئنى
أرغب فى أن تعطينى بعض الزهور مقابلها ،
ها هى ذى السلة وأرغب فى أن تملأها .. »

- « لملؤها ؟ »

قلتها (هاتز) فى لسف لأن السلة كانت كبيرة جداً ..
ولو فعل هذا فلن يبقى من الزهور ما يكفيه كى يذهب
للسوق ، وهو كان شديد الرغبة فى استرداد لزراره الفضية .

ثم إنه صاح :

- « أيتها الصديق العزيز .. يا أعز صديق .. كل
الزهور فى حديقتى تحت أمرك .. إننى لأفضل أراعى
الحكيمة على لزرارى الفضية .. »

وجرى ليملاً سلة الطحان بالزهور .

قال الطحان :

- « وداغاً يا (هاتز) .. »

وهو يحمل سلة الزهور في يد والخشب في اليد
الأخرى .

في اليوم التالي كان (هانز) يثبت شجرة في
شرفته حين سمع الطحان يتناديه من الطريق ، من ثم
نزل على السلم وركض في الحديقة .

كان الطحان يحمل جوالاً كبيراً من الدقيق على
ظهره ويقول له :

- « هزي (هانز) .. هل بضايقتك لن تحمل عني
جوال الدقيق هذا إلى السوق ؟ »

قال (هانز) :

- « آه .. أنا أسف .. لكنني مشغول جداً .. على أن
أثبت كل النباتات المتسلقة وأن أروي كل زهورى .. »

قال الطحان :

- « حقاً ؟ أحسب أنه ما دمت أتوى إعطائك عربة
يدي ، فإنه من الفظاظة منك أن ترفض .. »



صاح (هاتز) :

- « لا تقل هذا .. لن أكون قطاً أبداً .. »

وجرى ليحمل الجوال الكبير على ظهره .

كان اليوم حاراً جداً والطريق مغبراً ، وقبل أن يبلغ (هاتز) علامة الطريق السالمة اضطر إلى الجلوس للراحة ، في النهاية بلغ السوق وباع النقي بثمن ممتاز ثم قرر العودة ، لأنه خشى أن هو استراح قليلاً أن يلقي بعض اللصوص .

قال لنفسه وهو يدخل الفراش :

- « كان هذا بالتأكيد يوماً شاقاً ، لكنني مسرور لأنني لم أخلد للطحن لأنه أفضل لصدقتي .. بالإضافة لهذا سوف يعطيني عربة يده .. »

في الصباح الباكر جاء الطحان ليأخذ ماله لكن (هاتز) كان متعباً ولم يغادر الفراش بعد ..

قال الطحان :

- « قسم بالله إنك لشديد الكسل .. إن الخمول خطيئة

عظمى .. وأنا أكره أن أرى أعز صديق لي خاملاً .. لا تتصلق من أن أكلّمك بهذه الصراحة .. لكن ماجدوى الصداقة إن لم يقل المرء بالضبط ما يريد ؟ كل إنسان يمكن أن يقول كلاماً حلواً يسرك ، لكن للصديق هو الذي لا يبالي لو تكلم بقسوة وأذاك .. »

قال (هاتز) وهو يدعك عينيه وينهض :

- « أنا آسف حقاً لكنني كنت متعباً جداً وأردت أن أظل في الفراش بعض الوقت أصغي للطيور .. هل تعلم أنني أفضل إذا استمعت لصوت الطيور أولاً ؟ »

ربت الطحان على ظهر (هاتز) وقال :

- « حسن .. يسرني هذا .. لأنني أرحب في أن تأتي لطاحونتي ما إن ترتدي ثيابك كي تصلح السقف لي .. »

كان (هاتز) المسكين مشتاقاً لفكرة أن يعمل في حديقته ، لأن زهوره لم تسق منذ يومين ، لكنه لم

يرغب في أن يرفض طلب الطحان لأنه كان صديقًا
عزيزًا .

تسأل في خجل :

- « هل تعتقد أنه سيكون فظاظه منى لو قلت إننى
مشغول ؟ »

أجاب الطحان :

- « حسن .. لا لحسب أنى أطلب منك الكثير خاصة
لو فكرت أننى سأعطيك عربة يدي .. لكن بالطبع
لورفضت سأذهب وأعمل هذا بنفسى .. »

صاح (هاتز) :

- « لا ! بأى ثمن لا .. »

ووثب من الفراش وارتدى ثيابه واتجه إلى مخزن
الحبوب .

ظل يعمل هناك حتى الغروب ، وعندها جاء الطحان
ليرى ما يحدث .

صاح للطحان فى سرور :

- « هل أصلحت الثقب يا (هاتز) ؟ »

- « أصلحته تمامًا .. »

- « أوه .. ليس هناك من عمل أكثر بهجة من أن
تعمل للآخرين .. »

أجاب (هاتز) :

- « إنه امتياز حقيقى أن أسمعك تتحدث .. »

وجلس وراح يمسح جبينه :

- « لكتنى أخشى أنى لن أوزق أبداً بأفكارك العظيمة .. »

قال الطحان :

- « أوه .. متجىء لك .. لكن يجب أن تعاني أكثر
وأكثر .. أنت الآن تمارس الصداقة لكن يوماً ما ستفهم
النظرية نفسها .. »

- « هل تعتقد أنى سأفعل ؟ »

« لا أشك في هذا .. لكن عليك الآن أن تقصد دارك وتستريح ، لأننى سأسألك أن تأخذ أغنامى إلى الجبل غداً .. »

خاف (هاتز) الناس من الاعتراض ، وفى الصباح الباكر أحضر الطحان غنمه إلى الكوخ ، واستغرق (هاتز) اليوم بأكمله فى يأخذ الأغنام إلى الجبل ويعود بها ، وحين عاد كان منهكاً لدرجة أنه نام فى مقعده ، ولم يصح إلا فى منتصف النهار .

قال وهو يعود للعمل :

« يا للوقت السعيد الذى سأقضيه فى حديقتى ! »
لكنه لم يستطع قط العناية بأزهاره ، لكنه كان دوماً يطلب منه أو يرسله فى مهمات طويلة . وخاف (هاتز) أن تحسبه الزهور قد نسي أمرها ، لكنه عزى نفسه بأن الطحان أفضل أصدقائه ، ثم إنه سيعيره عربة يده وهذا كرم لاحت له .

لذا ظل (هاتز) يصل لدى الطحان ، والطحان يقول

أجمل الأشياء عن الصداقة ، تلك التى كان (هاتز) يدونها فى مفكرته ويقرأها قبل النوم لأنه كان مولعاً بالدراسة .

ذات ليلة كان (هاتز) جالساً جوار المدفأة حين دق الباب بقوة ، كانت ليلة عاصفة والريح تزار حول البيت ، لذا حسب أنها العاصفة ، لكن دقة أخرى جاءت ثم ثلثة أعلى ، جرى للباب يفتحه فوجد الطحان يقف ومصباح فى يده ، وعصا فى اليد الأخرى .

صاح الطحان :

« وا عزيزى (هاتز) .. إن ابنى الصغير قد سقط من فوق السلم وجرح نفسه وعلى الذهاب للطبيب .. لكنه يعيش بعيداً ، وخطر لى أنه من الأفضل لو ذهبت أنت .. فأنا كما تعرف سأعطيك عربة يدي ومن العجل أن تفعل شيئاً فى المقابل .. »

صاح (هاتز) :

« بالطبع .. سأنتقل حالاً .. لكن يجب أن تعطينى

المصباح لأن الظلام دامس ، وأنا أخشى السقوط في
خندق .. »

قال الطحان :

- « أنا آسف .. لكنه جديد ومن الخسارة أن يحدث
له شيء .. »

- « حسن .. لا عليك .. سأصرف من دونه .. »

وتناول عبايته ومعطفه الفراء الكبير ، وانطلق .

يا للعاصفة المريعة ! كان الظلام دامسًا إلى حد أن
(هاتز) لم يكن يرى شيئًا .. وبعد ثلاث ساعات
وصل إلى بيت الطبيب ودق الباب ، أخرج الطبيب
رأسه من نافذة غرفة النوم :

- « من هذا ؟ »

- « أنا (هاتز) أيها الطبيب .. لقد سقط ابن

الطحان الصغير من فوق السلم وجرح نفسه ..
والطحان يرغب في مجيئك .. »

قال الطبيب :

- « حسن أنا قائم .. »

وأمر بجواره والحداء ذي الرقبة والمصباح ، وانطلق
في اتجاه بيت الطحان بينما (هاتز) يركض من
خلفه .

لكن العاصفة ازدادت سوءًا وهطل المطر ، لم يعد
(هاتز) يرى شيئًا ، وفي النهاية ضل طريقه إلى
المستقع ، وقد كان مكتأ خطرًا وهناك غرق (هاتز)
الممكنين ، وجد رعاة الغنم جسده في اليوم التالي ،
وهو طاف فوق بركة ما ، وأعادته القوم إلى داره .

ذهب الجميع إلى جنازة (هاتز) لأن الكل كان
يحبه ، وكان الطحان أول الناحين .

- « كنت أعز صديق له ولهذا يجب أن أتخذ أفضل
مكان .. »

ومشى أمام الموكب في عبايته السوداء ، ومن
حين لآخر يمسح دموعه بمنديلته الكبير .

- « إن (هاتز) خسارة على أى قياس .. لقد منحته
عربة يدى والآن لم أعد أعرف ما أقطه بها .. إنها
فى حالة سيئة إلى حد أننى لن أحصل على مليم
لو بيعتها .. يجب ألا أمنح أى شىء من حاجياتى بعد
اليوم .. إن المرء يتحمل دومًا متاعب أن يكون
كريمًا .. »

* * *

قال الفار بعد صمت طال :

- « حسن ؟ »

قال الطائر :

- « حسن هذه نهاية القصة .. »

- « وماذا حدث للطحان ؟ »

- « لوه لا أعرف .. ومن المؤكد أن هذا لا يهمنى ..
أخشى أنك لا تفهم المغزى الأخلاقى لهذه
القصة .. »

صاح فار للماء :

- « ماذا ؟ »

- « المغزى الأخلاقى .. »

- « هل تعنى أن القصة لها مغزى أخلاقى ؟ »

- « بالتأكيد .. »

قال فار للماء فى غضب :

- « كان يجب أن تخبرنى قبل البدء .. وإلا ما كنت
لصغيت لك .. كان لابد أن أقول (بووووه) (*) كما يفعل
النقاد .. لكن يمكن أن أفعل هذا الآن .. »

وأطلق صيحة (بووووووه) عالية ، ثم انطلق
عائدًا إلى بيته .

سألت البطّة التى جاءت تجدف عبر الماء :

- « هل تحب فار الماء ؟ إن لديه مزايا .. لكن

(*) عامة تدل على عدم الاستحسان . وتعتبر هى والصغير تعبيرًا
على أن مسرحية غير جيدة ..

بالنسبة لى كأم لا أستطيع النظر إلى شخص عزب
دون أن تتجمع الدموع فى عيني .. »

قال الطائر :

- « أخشى أننى ضالقة .. الحقيقة هى أننى حكيت
له قصة ذات مغزى أخلاقى .. »

قالت البطة :

- « أوه .. من الخطر دائماً أن تفعل شيئاً كهذا .. »
وأنا أوافقها تماماً على ذلك .

الصاروخ المرموق ..

كان ابن الملك مقبلاً على الزواج ، لذا كانت هناك
احتفالات علنة .. لقد انتظر عروسه عاماً كاملاً وقد
وصلت أخيراً . كانت أميرة روسية جاءت من فنلندا
على زحافة تجرها ستة من حيوانات الرنة . كانت
الزحافة تشبه بجعة ذهبية عملاقة ، وبين الجناحين
كانت الأميرة ذاتها . وكانت عباؤها الفرائية تصل
إلى قدميها وعلى رأسها تاج من الفضة .. وكانت
شاحبة مثل قصر الجليد الذى تربت فيه .. شاحبة
كانت إلى حد أن الناس تصيحوا فى الشوارع :

- « إنها تبدو كوردة بيضاء ! »

وراحوا يلقون عليها الزهور من الشرفات .

وعند باب القلعة كان الأمير ينتظر لاستقبالها . كانت
له عينان حالمتان بنفسجيتان وشعره كخيوط الذهب ،
وحين رآها رمع على ركبته ولثم يدها . وغمغم :

- « صورتك كانت جميلة لكنك أجمل منها »

فلحمر وجه الأميرة الصغيرة . وقال وصيف لجره :

- « كانت من قبل كالوردة البيضاء ، والآن هي
وردة حمراء .. »

فصر البلاط كله لهذا .

ولمدة ثلاثة أيام راح البلاط يردد :

- « الوردة الحمراء .. الوردة الحمراء .. الوردة
الحمراء .. الوردة البيضاء .. »

وطلب للملك أن يضاعف راتب الوصيف ، ولما كان
هذا لا يتقاضى أى راتب فلم يقد شيناً من القرار ،
لكنه كان شرفاً عظيماً .

حين انتهت الأيام الثلاثة تم الاحتفال بالزفاف . كان
حفلاً مذهلاً . ومشى العريس والعروس تحت مظلة
من المخمل المزين باللآلئ . ثم أقيمت المآدب لمدة
خمس ساعات .

قال الوصيف :

- « من الواضح أنهما يحبان بعضهما .. هذا واضح
كالبور .. »

من ثم ضاعف ابن الملك راتبه من جديد . فصاح
القوم فى البلاط :

- « ياله من شرف !! »

بعد المأدبة كان حفل راقص . سرقص العروسان
مغاً رقصة الوردة ، وقد وعد الملك بأن يعزف الناي
لهما . كان عزفه غاية فى السوء ، لكن أحداً لم يجسر
بالتطبع على إخباره بهذا لأنه الملك . أما آخر فقرات
البرنامج فكانت عرضاً شائقاً للألعاب النارية سيتم
فى منتصف الليل . لم تر الأميرة ألعاباً نارية فى
حياتها ، لذا أمر الملك بأن يكون خبير الألعاب النارية
الملكى موجوداً يوم الزفاف .

سألت الأميرة :

- « ما هى الألعاب النارية ؟ »

قال الملك :

- « إنها مثل الشفق القطبي (أورورا) .. »

كان الملك يحب أن يجيب عن الأسئلة الموجهة
لسواه . وأضاف :

- « فقط أكثر طبيعية .. إنتى أفضلها على النجوم
ذاتها .. لأنك تعرفين متى سترينها بالضبط ، وهى
أكثر جمالاً من عزفى على الناي .. يجب أن تربها
قطعا .. »

وهكذا أقيمت منصة كبيرة فى حديقة الملك ،
وبدأت الألعاب النارية تتكلم مع بعضها .

قالت مفرقة صغيرة :

- « إن العالم بالتأكيد رائع الجمال .. انظر إلى
زهور التوليب هذه .. لو أنها كانت مفرقات لما
كانت أجمل من هذا .. »

قالت مفرقة ضخمة من النوع المدعو (شمع
رومانية) :

- « إن حديقة الملك ليست هى العالم . إن العالم
مكان هائل الاتساع .. ولسوف تحتاجين إلى ثلاثة
أيام لتريه كله .. »

قالت مفرقة من النوع المعروف باسم (دولاب
كاترين) :

- « أى مكان تحبه هو العالم بالنسبة لك .. لكن
الحب لم يعد (موضة) .. لقد قُتله الشعراء . كتبوا عنه
الكثير جداً حتى لم يعد أحد يصدقهم .. ولا يدهشنى
هذا . إن طبيعة الحب هى العذاب والصمت .. عرفت
الحب قديماً وانتهى الأمر .. لقد صار هذا كله ينتمى
للماضى .. »

قالت الشمعة الرومانية :

- « هراء !! الرومانسية لامتوت أبداً . إنها كالقمر
تحبنا أبداً .. والعريس والعروس يحبان بعضهما
وقد أخبرنى بهذا خرطوش مفرقات يعرف أسرار
البلاط .. »

قالت (دولا ب كاترين) :

- « لرومتسية ماتت .. لرومتسية ماتت .. لرومتسية ماتت .. »

كانت من طراز الناس الذين يحسبون أنك لو كررت الكلمة مراراً فإنها تصبح حقيقة في النهاية .
هنا سمعا سعة جافة فنظرا إلى ما حولهما .

جاءت من صاروخ طويل له منظر متكبر ، مربوط إلى عصا ، وقد اعتاد أن يسعل قبل أن يقول أية ملحوظة حتى يجذب الانتباه .

- « لحم احم .. »

فاتتبه الجميع ما عدا (دولا ب كاترين) التي ما زالت تهز رأسها وتردد :

- « لرومتسية ماتت .. لرومتسية ماتت .. لرومتسية ماتت .. »

صاح صاروخ صغير :

- « النظام .. النظام ! »

كان متمرساً بالسياسة لأنه شارك في مناسبات عديدة ، وكان ذا دراية بالقواعد البرلمانية إلى حد ما ..

فما إن ساد الصمت حتى سعل الصاروخ العظيم ثانية ، وتكلم بصوت خفيض واضح وكأنما يملأ مذكرته . في الحقيقة كان أسلوبه متميزاً جداً . قال :

- « من حسن حظ ابن الملك أنه سيتزوج في ذات اليوم الذي سأنتقل أنا فيه . حقاً لو تم ترتيب الأمر من قبل لما كان أفضل . لكن الأمراء محدودو الحظ دوماً .. »

قالت المفارقة :

- « رياه ! كنت أحسب الأمر عكس هذا ، وأنا سنطلق على شرف الأمير .. »

- « ربما كان الأمر كذلك بالنسبة لك .. أنا متأكد من هذا ، لكن بالنسبة لي الأمر مختلف .. أنا صاروخ مرموق أتيت من أسرة مرموقة .. كانت أمي أشهر (دولا ب كاترين) في عهدها .. حين ظهرت للجماهير أول

مرة دارت في الفضاء تسع عشرة مرة قبل أن تنطفئ ..
وفي كل دورة تنثر حولها في الفضاء سبع نجوم ..
كان طولها ثلاثة أقدام ، ومن خير أنواع البارود ..
كان أبى صاروخاً مثلى من أصل فرنسى . كان يحلق
عالياً حتى يحسب الناس أنه لن يعود ثانية ، لكنه
كان يهبط لأنه كان ذا طبع متواضع . وقد كتبت
الصحف عنه منبهة ، وأطلقوا عليه : للنصر الجديد
في عالم الأرباب النارية ..

قال له (ضوء بنفالى) :

- « أرباب نارية) .. لقد قرأت هذه الكلمة على
علبتى .. »

قال الصاروخ فى صرامة :

- « بل (أرباب نارية) .. »

شعر (الضوء البنفالى) بأنه يتهشم لدرجة أنه
راح يستفز المفرقعات الصغيرة كي يريها أنه مازال
شخصاً ذا قيمة . وواصل الصاروخ الكلام :

- « ماذا كنت أقول ؟ »

قالت (الشمعة الروماتية) :

- « كنت تتكلم عن نفسك .. »

- « نعم .. كنت أناقش موضوعاً مهماً حين قوطعت
بقلة نوى ، وأنا أكره قلة النوى لأننى شديد الحساسية ..
لا أحد فى العالم حساس مثلى وأنا أثق بهذا .. »

سأل أحد المفرقعات للشمعة الروماتية :

- « ما معنى (حساس) ؟ »

- « الشخص الذى لأنه يعانى من (كاللوى) فى
فمه ، يدوس طيلة الوقت على أصابع لقدام الآخرين .. »

وعاد الصاروخ يتكلم :

- « على المرء أن يفكر فى الآخرين .. بالذات
يفكر فى أنا .. أنا أفكر فى نفسى طيلة الوقت وأتوقع
من الآخرين أن يفعلوا الشيء ذاته .. لهذا ندعو
الأمر باسم (التعاطف) .. إنها فضيلة رائعة وأنا أملك
لكثير منها . تصوروا لو حدث لى شيء الليلة .. كم هى

خسارة ! لن يسعد الأمير والأميرة ، وسوف يتحطم
زواجهما .. أما أنت فلن يتغلب على الصدمة أبدا .
حين أفكر في أهميتي أو شك على البكاء .. »

- « هذه مسألة فهم مشترك .. »

قال الصاروخ في كبرياء :

- « يمكن لأى واحد أن يملك الفهم المشترك .. لأنه
ليس لديهم خيال . لكننى أملك الخيال ولا أفكر فى
الأمور كما هى ، ولكن أراها بصورة مختلفة . على المرء
أن يفهم مدى حقارة وتدنى مرتبة الآخرين ، وهذا هو
ما ييقنك حيا . بدلا من هذا أنتم تضحكون وتصخبون
كلما الأمير والأميرة لم يتزوجا بعد .. »

تساعل بالون نار صغير :

- « حسن .. ولم لا ؟ إنها مناسبة سارة ، وحين
أخلق فى السماء أزمع أن أخبر النجوم بكل شيء
عنها .. سترى النجوم تزداد تألقا حين أخبرها
بالعروس الجميلة .. »

قال الصاروخ :

- « آه .. يالها من نظرة تافهة للحياة ! لكن هذا
ما توقعته .. ليس فيكم شيء .. أنتم فارغون من الداخل
لربما يذهب الأمير والأميرة ليعيشا فى بلد فيه نهر
عميق ، ولربما يكون لهما ابن .. ابن أشقر له عينا
الأمير .. ولربما يخرج الطفل مع مربيته يوما ..
ولربما تنام المربية .. ولربما يسقط الطفل فى الماء
ويغرق .. يالها من كارثة ! ما أتعب هذين البائسين !
لن أفنى من أحزانتى أبدا ! »

قالت الشمعة الروماتية :

- « لكنهما لم يفقدا ابنهما .. لم تصبهما كارثة
على الإطلاق .. »

أجاب الصاروخ :

- « لم قل إن هذا سيحدث .. قلت إنه قد يحدث .. لو فقدوا
ابنهما بالفعل فلا داعى للكلام .. أنا أكره الناس الذين
يكون على اللبى المسكوب ، لكن بما أن هذا قد يحدث
فتفق ولجب .. أنتم لاتفكرون مدى صداقتى للأمير .. »

قالت الشمعة الرومانية :

- « كيف ؟ أنت حتى لا تعرفه »

- « لم ألق إبنى أعرفه .. بل أجروا على القول إبنى
لو عرفته لما صادفته قط .. من الخطر جداً أن تعرف
صديقك .. »

ثم انفجر فى بكاء حار .. فقالت (عجلة كاترين) :

- « بالتأكيد هو نو طبيعة رومانية حقيقية .. لأنه
يبكى حيث لا يوجد سبب على الإطلاق للبكاء .. »
وتنهت تهيدة حارة .

لكن الشمعة الرومانية ونار البنغال كتنا ساخطين
وراحا يرددان :

- « همبكة ! همبكة ! »

لأنهما كتنا نوى طبيعة علمية ، وكتا بطلقان تعبير
(همبكة) على كل من لا يروق لهما .

ثم ارتفع القمر كدرع فضى ، وراحت لنجوم تلمع .

وجاء صوت الموسيقى من القصر . كان الأمير والأميرة
يقودان الرقص ، وكان رقصهما جميلاً حتى إن زهور
السوسن راحت تميل على النوافذ لتراها .

جاءت الساعة العشرة ثم الحادية عشرة ثم الثانية
عشرة . وعند النقة الأخيرة خرج الجميع إلى الشرفة
وأرسل الملك يستدعى خبير الأكعاب النارية .

- « فلتبدأ الأكعاب النارية .. »

قلها للملك فتحنى خبير الأكعاب .. ومشى إلى الحديقة
حيث كان ينتظره ستة من مساعديه ، يحمل كل منهم
مشعلًا . كان العرض مبهراً .

ويز ويز ! تطلقت (بولاب كاترين) وهى تدور حول
نفسها .. بوم بوم ! ثم تطلقت (الشمعة الرومانية) ..
ثم راحت المفرقعات الصغيرة ترقص حول المكان . وجعل
(ضوء البنغال) كل شيء يبدو قرمزيًا .

- « وداعاً ! »

صاح بالون النار وهو ينطلق . باتج باتج ! كانت
هذه إجابة المفرقعات التى كانت تنعم بوقتها حقًا .

نجح الجميع ما عدا الصاروخ المرموق . كانت
الدموع قد بلغتته حتى إنه لم ينطلق على الإطلاق .
كان أفضل ما فيه هو البارود ، وقد تبلل هذا تمامًا
حتى لم يعد ذا قيمة .

كل رفائقه الذين لن يتكلم معهم ثانية ، قد حلقوا في
السماء كزهور ذهبية مبهرة ، وبراعهم من نار .
وضحكت الأميرة من فرط السرور .

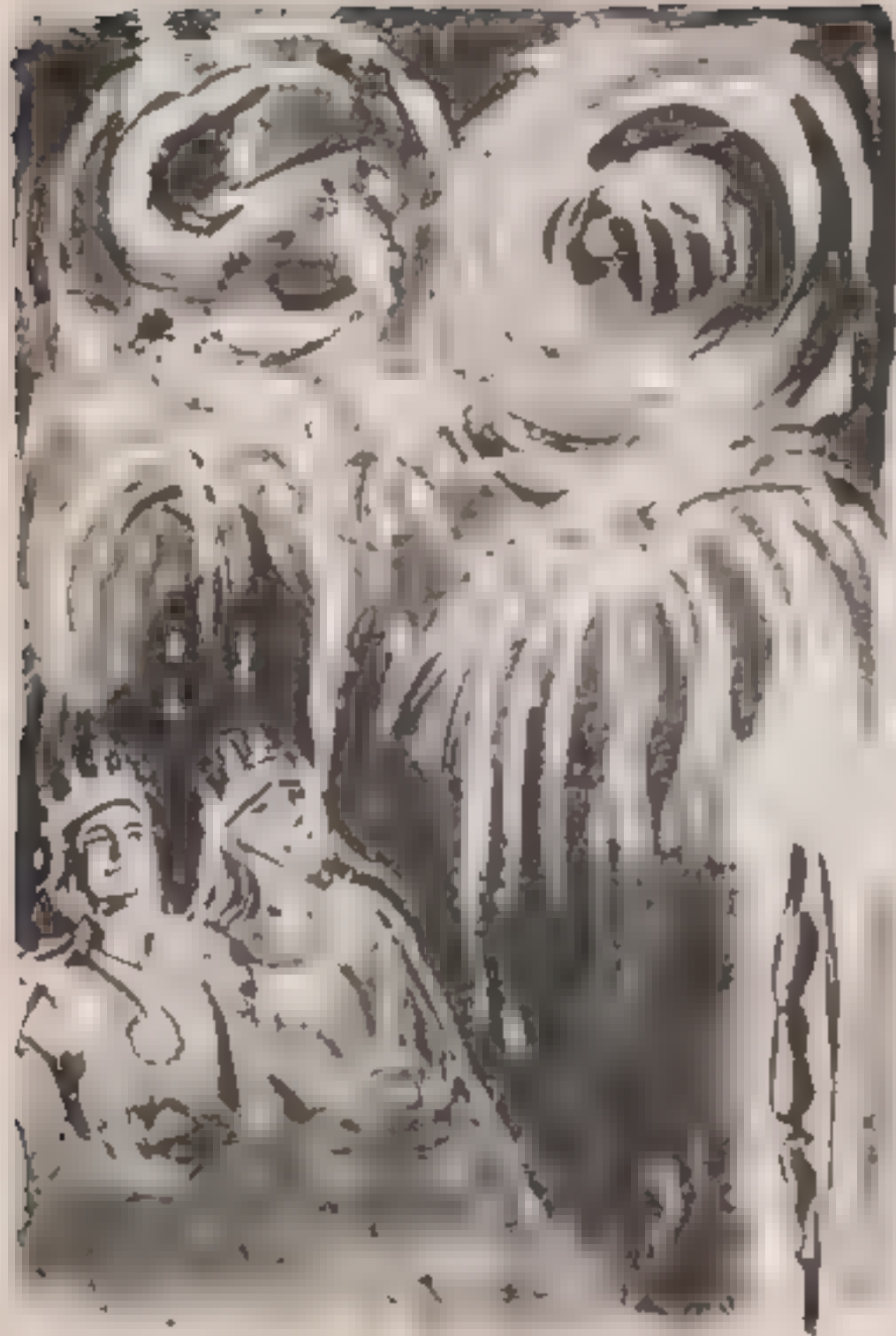
قال الصاروخ لنفسه :

- « اعتقد أنهم يحتفظون بي لحدث عظيم .. لاشك
فيما يعنيه هذا .. »

وبدا أكثر صلفاً من ذي قبل .

في اليوم التالي جاء العمال لينظفوا كل شيء .
فقال الصاروخ لنفسه :

- « هؤلاء بالتأكيد وفد من الملك .. سألقاتهم بكبرياء
مناسبة .. »



وشمخ بأنفه في الهواء وقطب جبينه كأنما يفكر
في أمر بالغ الأهمية . لكنهم لم يلاحظوه على
الإطلاق حتى لحظة انصرافهم . رآه أحدهم فصاح :

- « يا له من صاروخ ردىء !! »

والتفاه من فوق السور إلى الخندق .

قال للصاروخ وهو يطير في الهواء :

- « صاروخ ردىء ؟ مستحيل ! صاروخ رائع .. هذا

هو ما قال الرجل .. إن (ردىء) و (رائع) لفظتان
متشابهتان جداً .. في الحقيقة كثيراً ما تعينان الشيء
ذاته .. »

وسقط في الوحل .

قال :

- « المكان ليس مريحاً هنا .. لكن لاشك في أنه
منتجع مائي ، وقد أرسلوني هنا كي أجدد صحتي .. إن
أعصابي مرهقة وأنا بحاجة إلى الراحة .. »

هنا سبح نحوه ضفدع له عينان لامعتان كالجواهر
ومعطف أخضر مبرقش . وقال :

- « قادم جديد .. على كل حال ليس من شيء أفضل
من الوحل .. أعطني طقساً مطيراً وحفرة ، وسوف
أكون في خير حال .. هل تظن السماء ستمطر عصر
اليوم ؟ »

قال للصاروخ :

- « إحم إحم .. »

وبدا يسعل . فقال الضفدع :

- « يا لصوتك الجميل ! إنه يشبه النقيق والنقيق
بالتأكيد أجمل صوت في الكون .. ستسمع نادينا للقائم
الجماعي هذه الليلة .. نجلس في بركة البط فما إن
ييزغ القمر حتى نبدأ .. إنه ساحر إلى حد أن الجميع
يبقى ساهراً ليسمعنا . من الجميل أن يعرف المرء
أنه محبوب إلى هذا الحد .. »

قال الصاروخ :

- « إحم إحم .. »

كان غاضباً إلى حد أنه لم يستطع التلطف بكلمة .
فقال للضفدع :

- « صوت جميل فعلاً .. والآن أشكرك على هذه
المحادثة الشائقة وأستودعك الله .. »

قال الصاروخ :

- « محادثة فعلاً .. أنت ظلت تتكلم طيلة الوقت
وبرغم هذا تسميها محادثة .. »

قال الضفدع :

- « لا بد من واحد يصغي ، وأنا أحب القيام بالكلام
كله بنفسى .. هذا يوفر الوقت ويتحاشى المجادلات .. »

- « لكنى أحب المجادلات .. »

- « أتمنى أن لا .. إن المجادلات أمر موقى ، لأن
كل واحد فى المجتمعات الراقية يملك نفس الآراء ..
والآن وداعاً .. »

قال الصاروخ :

- « أنت شخص مزعج سيئ التربية .. لنا لكره الناس
الذين يتكلمون عن أنفسهم فى الوقت الذى أرغب فيه
فى الكلام عن نفسى .. هذا ما أدعوه أنانية ، والأنانية
شئ كريه للغاية .. خاصة مع شخص حساس مثلى ..
لا تنس أننى المفضل فى البلاط الملكى ، والأمير والأميرة
تزوجا أمس على شرفى .. طبعاً أنت لن تفهم هذه
الأمور لأنك ريفى .. »

قالت ذبابة تتين تجلس على زهرة بردى كبيرة :

- « لاجدوى من الكلام معه لأنه قد رحل بالفعل .. »

قال الصاروخ :

- « ليكن .. هو الخاسر لا أنا .. إن لكف عن الكلام
معه لأننى أحب سماع نفسى أتكلم .. أحياناً أجرى
محادثات طويلة مع نفسى ، ومن فرط ذكائى لا أفهم
كلمة واحدة مما أقول .. »

قالت نيازة التتبن :

- « إذن بعب أن تتلقى محاضرات فى الفلسفة .. »
وحلقت فى السماء .

قال الصاروخ :

- « من السخيف أنه لم ببق هنا .. لا أعتقد أن
لديه فرصة كهذه ليربض عقله .. »

بعد قليل سبحت بطة ببضاء كبيرة بقربه . وكنت
تعتبر جميلة جدًا نظرًا لمشيتها المتهادية . قالت :

- « كاك كاك ! ما أغرب شكلك ! هل لى أن أعرف
ما إذا كنت ولدت هكذا أم أنها نتيجة حادث ؟ »

قال الصاروخ :

- « واضح تمامًا أنك قضيت حياتك فى الريف ..
لكننى أغفر لك جهلك ليس من العدل أن أتوقع أن يكون
للناس مرموقين مثلى .. لن تصدقنى أن بوسعى التحلىق
فى السماء ثم للنزول وسط شلال من المطر الذهبى .. »

قالت البطة :

- « هذا لا يبهرنى لأننى لا أرى له نفعًا .. لو كان
بوسعى أن تحرث الحقول كلثور لو تجر عربة كلحصان
لكان هذا شيئًا ما .. »

صاح الصاروخ فى عجرفة :

- « أيتها المخلوق الطيب .. أرى أنك تنتمين إلى
طبقات وضيفة .. أما الأشخاص من طبقتى فيندر أن
يكونوا مفيدين .. ولطالما كان رأى أن العمل هو الملاذ
الأخير للأشخاص الذين ليس لديهم ما يفعلونه .. »

قالت البطة :

- « لىكن .. لىكن .. فقط أرجو أن تعيش معنا هنا .. »
كانت مسالمة بطبعها ولم تتشاجر قط مع مخلوق ..

صاح الصاروخ :

- « يا عزيزتى .. لنا مجرد زائر زائر مرموق .. لكن هذا
المكان متعب .. فلا توجد مجتمعات هنا .. لكن للوحدة

صعبة المنزل كذلك .. إنه مكان ريفي ، ويبدو أنني سأعود
للبلط لأن قدرى هو أن أحدث نوباً في العالم .. لقد
خلقت للحياة العامة .. »

قالت البطنة :

- « هذا يذكرني بأنتى جائعة .. »

وسبحت عبر النهر وهى تردد :

- « كاك كاك كاك ! »

قال الصاروخ لنفسه :

- « يسرنى أنها رحلت .. إن لها عقليه واحدة
من الطبقة المتوسطة .. »

وغاص أكثر فى الوحل ، وهو يفكر فى وحشة العبقرية
ووحدهم .. حين ظهر صبيان فى معطفين أبيضين ،
يجريان على الضفة ومعهما حزمة عصى وبريق شامى .

صاح أحد الصبيين :

- « انظر إلى هذه العصا القديمة ؟ »

- « ترى من أين جاءت ؟ »

ومد يده إلى الوحل .

صاح الصاروخ :

- « عصا قديمة ؟ مستحيل .. لابد أنه قال
(عصا ثمينه) .. هذا يرضينى جداً .. »

قال الولد الآخر :

- « دعنا نشعل فيها النار .. ستساعدنا على غلى
الماء فى البرد .. »

لهذا كوموا العصى معاً ، ثم وضعوا الصاروخ
أعلى الكومة .

صاح الصاروخ :

- « هذا رائع .. سيطنقأتى فى النهار حتى يرائى
الجميع .. »

قالا :

- « سننام الآن .. وحين نصحو سيكون الماء قد
غلى .. »

وتمددا على العشب وأغمضا العيون .

كان الصاروخ مبتلاً واستغرق الكثير من الوقت
ليشتعل ، وفي النهاية أمسكت به النار فصاح :

- « الآن سأطلق !! أعرف أنني سأطلق أبعد من
للتجوم ومن القمر .. أعلى من الشمس .. في الحقيقة
سأرتفع لدرجة .. »

فيز .. فيز ! وخلق في الهواء ..

- « جميل .. سأخلق هكذا للأبد ! بالنجاحي ! »

ثم بدأ يشعر بشعور تتميل غريب على جسده .
فصاح :

- « الآن سأفجر ! سأشعل النار في العالم كله ..
وأحدث صخباً حتى إن أحداً لن يتكلم عن شيء آخر
لمدة عام .. »

وبالفعل انفجر .. باتج .. باتج .. انطلق البارود ..
لاشك في هذا ..

لكن أحداً لم يسمعه ولم يره .. حتى الصبيين كانوا
نائمين . ثم لم يبق منه إلا عصا وقد سقطت هذه
على ظهر أوزة كانت تمشي جوار الخندق .

قالت :

- « رباه ! السماء ستمطر عصياً .. »

وجرت إلى البركة .

لهث الصاروخ وقال :

- « كنت أعرف أنني سأحدث دويًا عظيماً .. »
ثم تلاشى .

لقد عانت أقدامها الوردية من قسمة الصقيع
فشعرن بالحاجة إلى بعض الروماتسية .

زمجر الذئب :

- « هراء ! بنى لوكد لكم أن هذه غلطة الحكومة ،
وإن لم تقتعوا فبني سألتهمكم .. »

كان الذئب ذا عقلية عملية ولم يخسر مجادلة قط .
قال نقار الخشب الذى كان ذا طبيعة فلسفية :

- « حسن .. بالنسبة لى أنا لا أبالي بالتفسيرات ..
مادام الشيء كذا فهو كذا .. وحالياً البرد شديد .. »

حقاً كان البرد شديداً ، وقد مضى الحطبان ينفخان
فى أناملهما ويتعثران بأحذيتيهما الثقيلة فوق الجليد
وتعثرا مرة فى المستقع المتجمد ومرة فى حفرة ،
خرجا منها أكثر بياضاً من الطحان فى أثناء طحن
الحبوب . وذات مرة حسبا أنهما ضلا للطريق ، واتلبهما
الهلع لأنهما يعرفان أن الصقيع لا يرحم من يغفو بين
ذراعيه . لكنهما استعدا الطريق .. وفى النهاية بلغا

طفل النجوم ..

كان ياما كان . عاد حطبان فقيران إلى دارهما عبر
غابة صنوبر واسعة . كان الطقس شتاءً والليلة قاسية
البرد والجليد فى كل صوب لأن ملك الثلوج لثم كل
شيء .

زمجر الذئب وهو يعرج بين الأشجار المتجمدة :

- « لوه .. هذا بالتأكيد طقس متوحش .. لماذا لا تهتم
الحكومة بأمر كهذا ؟ »

صاحت الطيور :

- « تويت تويت ! الأرض العجوز قد ماتت وغطوها
بأكفان بيضاء .. »

قالت الحمام لبعضها :

- « بل الأرض ستتزوج وهذا ثوب عرسها .. »

حدود الغابة .. ورأيا أضواء قريتهما . بلغت بهما
السعادة مبلغاً حتى راحا يضحكان بصوت عال ، وخيل
لهما أن الأرض مكسوة بلفضة ولفم زهرة من الذهب .
ثم علا إليهما الحزن وقد تنكرا فقرهما . وقال أحدهما :

« لماذا نفرح ونحن نعرف أن الحياة للأثرياء
وليست لأمثالنا ؟ كان من الأفضل لنا لو متنا من
البرد في الغابة .. أو وثب علينا وحش فتك بنا .. »

قال صاحبه :

« حقاً .. القليلون ينالون الكثير والباقيون
ينالون القليل .. إن الظلم قد غف العالم ، ولا عدالة
في توزيع شيء إلا الأكم .. »

لكن بينما هما يتبادلان شكوى التعاسة ، حدث هذا
الشيء الغريب . لقد هبط من السماء نجم شديد البريق .
مر منحدرًا من أعلى ماراً بكل النجوم الأخرى ، ثم
هبط وراء مجموعة من أشجار الصفصاف على مرمى
حجر منهما .

صاحا :

« هبه ! هناك ذهب لمن يجده !! »

واتطلقا متحمسين .. كان أحدهما أسرع من
صاحبه حتى سبقه ، وشق طريقه بين أشجار
الصفصاف . وخرج من الناحية الأخرى . حقاً كان
شيء من ذهب على الجليد .

جرى وأمسكه بيديه .. كانت عباءة من نسيج
مذهب مطرز بالنجوم بعناية . صاح يخبر صديقه أنه
وجد الكنز الذي سقط من السماء ، وحين وصل
صاحبه جلسا على الجليد وفكا ثنيات العباءة ..

لكن للأسف ! لم يكن هناك ذهب ولا فضة ..
ولا أي كنز من أي نوع . لكن كان في العباءة طفل
صغير نائم . وقال أحدهما للآخر :

« هذه نهاية مريرة لأملنا .. ماجدوى طفل للرجل ؟
إن أطفالنا هناك وليس لدينا المزيد من الخبز تمنحه
لطفل آخر .. ألا فلنتركه هنا ونمض إلى سبيلنا .. »

لكن رفيقه قال :

- « لا .. من الشر أن تترك طفلاً يموت هنا في البرد ..
وبرغم أنني فقير مثلك ، ولدى أهواه كثيرة يجب إطعامها ..
والقليل من الطعام في القدر .. فبئني سأخذ هذا الطفل
معي إلى الكوخ ، ولسوف تعني به زوجتي .. »

ولهذا وبرفق أخذ الطفل .. ولله في العباءة كى
بقيه من البرد . بينما زميله يتعجب من حماقته
ورقة قلبه . وقال له :

- « أنت أخذت الطفل فأعطني العباءة .. هكذا نتقاسم
ما وجدناه .. »

لكن صاحبه أجابه :

- « لا .. فالعباءة ليست لى ولا لك .. بل هى منك
الطفل .. »

وودعه واتجه إلى داره . فتحت له زوجته الباب ،
فلما رأت أن زوجها عاد سالماً لها طوقت عنقه
وقبلته . ثم اقتادته إلى جوار النار . قال لها :

- « لقد وجدت شيئاً فى الغابة وقد جلبته لك كى
تعنى به .. »

ثم كشف العباءة ليرىها الطفل ، وقال لها :

- « هو طفل النجوم .. »

وحكى لها القصة الغريبة للعثور على هذا الطفل ،
لكنها لم تهذا .. بل سخرت منه .. وصاحت فى
غضب :

- « أطفالنا يفتقرون إلى الخبز فهل نطعم طفل
الآخرين ؟ من يعنى بنا ومن يعطينا الطعام ؟ »

- « لكن الله يعنى حتى بالعصافير ويطعمها .. »

- « لكن ألا تموت العصافير جوعاً فى الشتاء ؟
والنيس هذا هو الشتاء ؟ »

هنا هبت ريح باردة من الغابة فارتجفت وقالت
لزوجها :

- « ألا تغلق الباب ؟ إن الريح تجمدنى .. »

اتجه الرجل نحوها ووضع الطفل بين ذراعيها ،
فارتجفت وسالت دمعة من عيناها .. وقبلته ووضعته
في الفراش جوار أصغر أبنائها ..

في الصباح أخذ الحطاب العباءة الغريبة ووضعها في
صندوق كبير ، وضعت الزوجة قلادة من الكهرمان
كانت حول عنق الطفل في الصندوق كذلك .

هكذا كبر طفل النجوم مع أبناء الحطاب ولعب
معهم . وفي كل عام يزداد جمالاً مما أثار دهشة
القرويين .. فقد كانوا دأكنى البشرة سود الشعور ..
وكان هو رقيقاً وأبيض كالعاج ، وخصلات شعره
المجعدة كزهور النرجس الأصفر . وعيناه كزهور
البنفسج في حقل لا يزوره قاطع الأعشاب .

لكن جماله آذاه لأنه صار مغروراً .. أتانياً ..
قاسياً ، وراح يقول إن أطفال القرية منحطون أما هو
فنبيل المنشأ لأنه جاء من النجوم . لم يعطف قط
على الفقراء أو المشوهين أو المرضى . واعتاد
السخرية من المتسولين ، كأنما حرم القلب .

وفي الصيف حين تهدأ الريح ، كان يرقد عند
البئر ، ويتأمل روعة وجهه في الماء .
وكان الحطاب وامرأته يقولان له :

- « لم نتعلم معك كما تعلمت مع الفقراء المنسيين ..
من أين جئت بهذه القسوة واقتفارك للرحمة .. »

لكنه لم يهتم بهما .. وواصل اللهو والعبث مع
رفاقه . وحين كان يغرس قصبة في عين الخلد التي
لا تبصر كانوا يضحكون .. وحين كان يلقي الأحجار
على المجذومين كانوا يضحكون . كان يسيطر عليهم
إلى حد أنهم صاروا قساة القلوب مثله .

ذات يوم مرت بالقرية امرأة متسولة بائسة ..
ثيابها ممزقة وقدمها تتزفان من الطريق الخشن
الذي مشت عليه . ولما كانت مرهقة فقد جلست
تحت شجرة كستناء تستريح .

لكن حين رآها طفل النجوم قال لرفاقه :
- « انظروا ! هي ذى شحاذة قذرة تجلس تحت

هذه الشجرة المورقة الجميلة .. هلموا .. تعالوا
نطردها .. فهي سقيمة قبيحة .. »

ودنا منها ورمأها بالأحجار وسخر منها .. نظرت
له برعب في عينيها ولم تبعد ناظريها عنه . دنا منه
أبوه بالتبني وأمره ألا يفعل هذا ، فضرب طفل
النجوم الأرض واحمر وجهه غضباً وقال :

- « من أنت كي تسألني عما أفعل .. من أنت ؟
أنا لست ابنك كي أمثل لأوامرك .. »

قال الحطاب :

- « أنت تكلمت بالحق .. لكن ألم لشفق عليك حين
رايتك في الغابة ؟ »

وحين سمعت المرأة هذه الكلمات أطلقت صرخة
وفقدت وعيها ، فاحتملها الحطاب إلى داره .. وحين
أفاق من الإغماء وضع أمامها لحماً وشراباً وطلب
منها أن تنعم بالراحة .

لكنها لم تمس الطعام ولا الشراب ، وسألت الحطاب :

- « ألم يكن هذا من عشر سنوات حين وجدت
هذا الطفل في الغابة ؟ »

فأجابها الحطاب :

- « بلى .. وكان هذا في الغابة .. »

- « ألم تجد علامات معينة معه ؟ ألم يكن حول
عنقه قلادة من الكهرمان ؟ ألم يكن ملفوفاً في عباءة
مذهبة طرزت عليها نجوم ؟ »

أجاب الحطاب :

- « هذا حق .. كان الأمر كما تقولين .. »

والتقط العباءة والقلادة الكهرمانية من الصندوق
ولأراها للمرأة .

فلما رأت هذه الأشياء صرخت وبكت من الفرح :

- « إنه ابني الذي فقدته في الغابة .. أرسله لي
حالا لأنني بحثت عنه في كل العالم ولم أجده .. »

لذا خرج الحطاب وزوجته وناديا طفل النجوم ..
وقال الأب :

- « ادخل إلى المنزل وسوف تجد أمك .. »

جرى الصبي إلى الكوخ مليئاً بالسرور والعجب ،
لكنه حين رأى من تنتظره بالداخل ضحك محتقراً
وقال :

- « أين هي أمي ؟ أنا لا أرى هنا إلا هذه المرأة
المتسولة »

قالت للمرأة :

- « بل أنا أمك .. »

صاح طفل النجوم في غضب :

- « أنت مجنونة .. أنت لست أمي فأنت شحاذة
قبيحة تلبسين الأسمال .. اغربي عن وجهي ودعيني
لا أرى وجهك القبيح ثانية .. »

صاحت المرأة :

- « أنت ابني .. لقد خطفك للصمص مني ثم تركوك
لتموت في الغلب .. لكني عرفتك حين رأيتك . لقد فشت

العالم كله بحثاً عنك ، والآن أرجوك أن تأتي معي
يا بني ، فأنا بحاجة إلى حبك .. »

لكن طفل النجوم لم يتحرك .. بل أوصد أبواب
قلبه دونها .

في النهاية قال لها بصوت قاس مرير :

- « لو كنت حقاً أمي لكان خيراً لك لو بقيت بعيداً ..
بدلاً من أن تأتي هنا لتجلبني لي العار .. كنت أحسب
نفسي ابن نجم فجئت لي كي أعرف أنني ابن شحاذة ..
لهذا ابتعدت عني فلا أريد أن أراك ثانية .. »

صاحت :

- « واحسرتاه يا بني !! ألن تقبلني قبل أن أرحل ؟ »

- « نعم لن أقبلك .. فأنت أقبح من أن يستطیع
المرء النظر إليك .. من الأسهل لي أن أقبل الثعبان
أو الضفدع بدلاً منك .. »

لهذا غادرت المرأة البيت وتوارت باكياً .. وسر طفل
النجوم لأنها رحلت وجرى ليلحق برفاقه . لكنهم حين
رأوه سخرُوا منه وقالوا :

- « أنت قذر كالضفدع وكريه كالثعبان .. أغرب
عنا فلن نلعب معك .. »
وطردوه من الحديقة .

قطب طفل النجوم جبينه وقال :

- « ما هذا الذي يقولون لي ؟ سأذهب إلى البئر
وأأمل وجهي ، وسوف يخبرني كم أنا جميل .. »
لذا ذهب إلى البئر ونظر فيه .. لكن بالحصرة ! كان
وجهه وجه ضفدع وجسمه كجسد ثعبان .. رمى بنفسه
على العشب وبكى . وقال :

- « بالتأكيد هذا لصابني بسبب خطيائي .. لقد أنكرت
أمي وطردتها .. لسوف أبحث عنها في العالم كله
ولن أستريح حتى أجدها .. »

هنا جاءت ابنة الحطاب الصغرى ، ووضعت يدها
على كتفه :

- « وما المشكلة لو أنك فقدت جسمك ؟ ابق معنا
هنا ولن أسخر منك أبداً .. »

قال لها :

- « كلا .. لكنني فسوت على أمي .. فعوقبت بهذا
الشر .. يجب أن أرحل وأبحث في الأرض حتى أجدها ..
وتغفر لي .. »

وجرى إلى الغابة بحثاً عن أمه لكنها لم تكن هناك .
ظل يبحث عنها طيلة اليوم ، وحين جاء المساء رقد
على فراش من الأوراق . كان وحيداً اللهم إلا من
ضفدع جاء إليه وثعبان زحف حوله .

في الصباح سأل الخلد :

- « أنت تستطيع الزحف تحت الأرض .. قل لي
هل أمي هناك ؟ »

قال الخلد :

- « أنت أعيتني فكيف أعرف ؟ »

سأل الطائر :

- « أنت تستطيع الطيران فوق الأشجار السامقة ..
فهل رأيت أمي ؟ »

فأجاب الطائر :

- « أنت قصصت جناحي لمتنك .. فكيف أطيرو ؟ »

وسأل السنجاب الذي يعيش في شجرة التنوب :

- « أين أمي ؟ »

فأجاب السنجاب :

- « أنت قتلت أمي .. أتراك تبحث عن أمك

لتقتلها هي الأخرى ؟ »

فبكى طفل النجوم وخفض رأسه وطلب الصفح
من مخلوقات الله . ومشى في الغابة يفتش عن
المتسولة . وفي اليوم الثالث خرج من الغابة ونزل
إلى السهل .

حين مشى في القرية سخر منه الأطفال وزمواه
بالأحجار . ولم يتركه الفلاحون ينام حتى في حديقة
المواشي كي لا يسبب تعفن القمح .. فلا أشفق عليه
أحد ولا هو وجد أمه .

ثلاثة أعوام راح فيها يجوب القرى بحثاً عنها ،
لكنه لم يقابلها واعتاد الناس أن يسخروا منه .

ثلاثة أعوام جاب فيها العالم .. وفي العالم لم يكن
هناك حب ولا رفق .. لكنه كان ذات العالم الذي
صنعه لنفسه في أيام غروره الأولى .

في المساء بلغ أسوار مدينة محصنة جوار النهر ..
ولما كان منها متفرح القلمين فقد أرغم على دخولها .
لكن الجند على الباب أغلقوه برماحهم وسألوه :

- « ماذا تريد هنا ؟ »

أجاب :

- « أبحث عن أمي .. وأتوسل لكم أن تسمحوا لي
بالممرور فلربما كانت هنا .. »

لكن الجنود سخروا منه ، وقال أحدهم :

- « الحق أن أمك لن تسر حين تراك .. لأنك أقبح
من ضفدع المستنقع . فلترحل .. أمك لا تعيش في
هذه المدينة .. »

وقال آخر يحمل راية صفراء في يده :

- « من أمك ؟ ولأى سبب تبحث عنها ؟ »

قال الصبي :

- « أُمى شحاذة مثلى .. وقد هُتوت عليها ولتوسل

لكم أن تسمحوا لى بالدخول لعلى أفوز بصفحتها ..

لو كان حقاً أنها تعيش هنا .. »

لكنهم رفضوا ونخسوه برماحهم . وإذ كاد الصبي

يرحل ، جاء رجل يلبس درعاً عليه زهور مذهبة ،

وسأل الحراس عن كنه هذا الفتى الذى يرغب فى

الدخول .

قالوا له :

- « إنه شحاذ ابن شحاذة .. وقد طردناه .. »

قال الرجل :

- « كلا .. سنبيع هذا الفتى لمنفر كعبد ، ولنسوف

يكون ثمنه كافياً لشراء زجاجة نبيذ .. »

صاح رجل شريد الملامح كان يمر بهم :

- « سأشتريه بهذا الثمن .. »

ودفع الثمن واقتاد طفل النجوم إلى داخل المدينة .

اقتاده الرجل عبر شوارع المدينة حتى بلغ باباً

تغطيه شجرة رمان ، ولمس الباب بخاتم من يشب

فى يده فافتتح الباب .. هبطا خمس درجات إلى

حديقة تملؤها نباتات الأفيون ومرطبات خضراء بها

صلصال محترق . عندها نزع الرجل من عمامته

وشاخاً حريراً غطى به عيني الفتى ، ثم اقتاده

أمامه . وحين أزاح الوشاح عن عين الفتى ، وجد

طفل النجم نفسه فى جب يضيئه مصباح من قرن

حيوان .

وضع العجوز أمامه بعض الخبز العفن وقال :

- « كل .. »

ووضع بعض الماء الآسن وقال :

- « اشرب .. »

فلما فرغ من الأكل والشرب اتصرف الرجل ، ولم ينس أن يغلّق السرداب بسلسلة حديدية .

فى الغد جاء للرجل ، وكان من أخبث سحرة ليبيا ، وقد تعلم هذا الفن من واحد كان يعيش فى المقابر المجاورة للنيل جاء له وقطب وقال :

- « فى غابة قرب بوابة مدينة (جياورز) هذه توجد ثلاث قطع من الذهب . واحدة من الذهب الأبيض والأخرى من الذهب الأصفر والثالثة من الذهب الأحمر . اليوم تجلب لى قطعة للذهب الأبيض ، ولو لم تجلبها سأضربك مائة جلدة . ارحل الآن وعند الغروب سأنتظرك عند باب الحديقة . أنت عبدى وقد اشتريتك بثمن زجاجة من النبيذ .. »

ثم غطى عينى الصبى بالوشاح واقفاده عبر المنزل وعبر الحديقة .. ثم صعد به الدرجات الخمس وفتح الباب وأطلقه فى الشارع .

ومضى طفل لنجوم فى الشارع . وخرج إلى الغابة لتى تكلم عنها الساحر . كانت الغابة الآن جميلة مليئة بطيور مفردة وزهور عطرة ، وقد نخلها طفل لنجوم مسرورا .

لكن فى كل مكان يمشى فيه كانت أشواك من الأرض تخرج وتحيط به . ولدغته النباتات الشوكية حتى صار فى ألم عظيم . ولم يجد الذهب الأبيض فى أى مكان .. برغم أنه بحث عنه من الصباح حتى الظهيرة .. ومن الظهيرة حتى الغروب . وعند الغروب اتجه للبيت وهو يبكى بحرقة لأنه يعرف أى مصير ينتظره .

لكنه حين بلغ أطراف الغابة سمع من الأحرار صرخة ألم . نسي حزنه وجرى إلى المكان فرأى أرنباً صغيراً وقع فى مصيدة نصبها صياد . أشفق عليه طفل النجوم فحرره وقال له :

- « أنا نفسى لست سوى عبد لكن بوسعى أن أهبك الحرية .. »

فقال الأرنب :

- « أنت منحتنى الحرية فماذا بوسعى أن أعطيك ؟ »

- « أنا أبحث عن قطعة من الذهب الأبيض .. لكن لا أجدها .. ولو لم أجبها لسيدى فلسوف يضربنى .. »

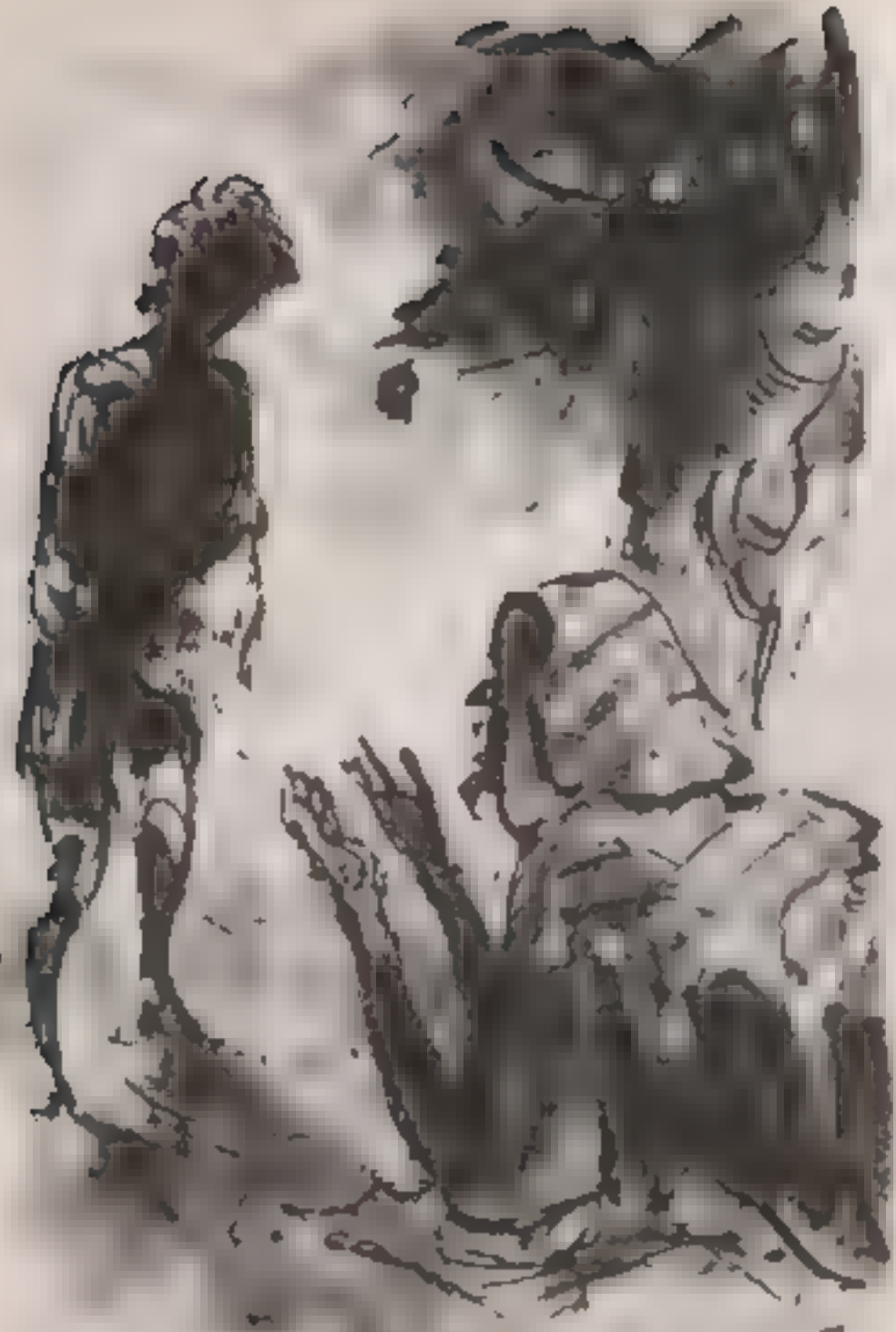
- « تعال معي .. ولصوف أقودك إليها فأنا أعرف
أين خيلت ولأى غرض .. »

هكذا مضى طفل النجوم مع الأرنب .. و .. في
قلب شجرة بلوط عجوز وجد قطعة الذهب التي كان
يبحث عنها . ملأه الفرح وأمسكها وقال الأرنب :

- « إن الخزمة التي قمتها لك قد عانت على بالمنفعة عدة
مرات .. والخير الذي أظهرته قد تضاعف مئة مرة .. »
قال الأرنب :

- « كلا .. ولكن كما تعاملت معي تعاملت معك .. »
وجرى مبتعداً بينما عاد طفل النجوم إلى المدينة .
على بوابة المدينة جلس رجل مجذوم على وجهه
اتسدت عباءة رمادية .. ومن خلال ثغرة العينين
تلمع عيناه كالجمرات . وحين رآه ضرب على سلطانية
من الخشب وبق جرسه . وتناداه :

- « أعطني بعض المال وإلا مت جوعاً .. لقد طردوني
من البلدة وما من أحد عطف على .. »



صاح طفل النجوم :

- « واحسرتاه ! لدى قطعة ذهبية فى حافظتى ولولم
أجلبها لسيدى فلسوف يجلدنى . لأننى عبده .. »
لكن المجنوم توصل له حتى شعر الطفل بالشفقة
وأعطاه قطعة الذهب الأبيض .

وحين عاد إلى الساحر سأله هذا :

- « هل جلبت معك قطعة الذهب الأبيض ؟ »

قال الفتى :

- « ليست معى .. »

فضربه الساحر ، ثم قدم له وعاء فارغاً وأمره أن
يأكل ، وكوباً فارغاً وأمره بأن يشرب . ثم ألقى به
فى الحب .

وفى الغد جاء الساحر إليه وقال :

- « اليوم إن لم تجلب لى قطعة للذهب الأصفر فلسوف
أضربك ثلاثمائة جلدة .. »

هكذا ذهب طفل النجوم إلى الغابة وقضى اليوم
كله يبحث عن قطعة الذهب الأصفر ، لكنه لم يجدها .
عند الغروب جلس يبكى حين جاءه الأرنب
الصغير الذى أنقذه من الفخ أمس .

قال له الأرنب :

- « عم تبحث فى الغابة ؟ وعلام تبكى ؟ »

أجاب طفل النجوم :

- « أبحث عن قطعة الذهب لصفراء ، فلو لم أجدها
لضربتنى سيدى .. »

صاح الأرنب :

- « اتبعنى .. »

وجرى بين الأشجار حتى وصل إلى بركة ماء .
فى قاع البركة كانت قطعة الذهب الأصفر .

قال طفل النجوم :

- « كيف أشكرك ؟ هذه المرة للثانية التى تنقذنى
فيها .. »

قال الأرنب :

- « كلا .. ولكنك ساعدتني أولاً .. »

وجرى مختلفاً مسرعاً .

عاد طفل النجوم حاملاً قطعة الذهب في حافظته ،
وهرع إلى المدينة . لكن المجذوم رآه فهرع إليه
ورمى أماله وبكى :

- « أعطني بعض المال وإلا مت جوعاً .. »

صاح طفل النجوم :

- « لدى قطعة ذهبية في حافظتي ولو لم أجليها
لسيدى فلسوف بجلدني ، ولن يعتقني أبداً .. »

لكن المجذوم توسل له حتى شعر الطفل بالشفقة
وأعطاه قطعة الذهب الأصفر .

وحين عاد إلى الساحر سأله هذا :

- « هل جلبت معك قطعة الذهب الأصفر ؟ »

قال الفتى :

- « ليست معي .. »

فضربه الساحر ، ثم قيده بالسلاسل . ثم ألقى به
في الحبس .

وفي الغد جاء الساحر إليه وقال :

- « اليوم إن جلبت لي قطعة الذهب الأحمر
فلسوف أعتقك .. لكن إن لم تجلبها لي فلسوف
أهلك .. »

هكذا ذهب طفل النجوم إلى الغابة وقضى اليوم
كله يبحث عن قطعة الذهب الأحمر ، لكنه لم يجدها .
عند الغروب جلس يبكي حين جاءه الأرنب الصغير
الذي أنقذه من الفخ .

قال له الأرنب :

- « قطعة الذهب الأحمر التي تبحث عنها في الكهف
خلفك فلا تبك ثانية .. »

قال طفل النجوم :

- « كيف أشكر ؟ هذه هي المرة الثالثة التي تتقنني

فيها .. »

قال الأرنب :

- « كلا .. ولكنك ساعدتني أولاً .. »

وجرى مختفياً مصرعاً .

ودخل طفل النجوم إلى الكهف وفي ركنه النصي

وجد قطعة الذهب الأحمر .

عاد طفل النجوم حاملاً قطعة الذهب في حافظته ،

وهرع إلى المدينة . لكن المجدوم رآه فهرع إليه

وركع أمامه وبكى :

- « أعطني بعض المال وإلا مت جوعاً .. »

صاح طفل النجوم :

- « إن حاجتك أكبر من حاجتي فخذها .. »

وأعطاه قطعة الذهب الأحمر ، لكن قلبه كان مثقلاً
لأنه كان يعرف المصير الأسود الذي ينتظره .

لكن يا للعجب ! ما إن مر عبر بوابة المدينة حتى
اتحنى له الحراس قائلين :

- « ما أجمل سيدنا !! »

واحتشد المواطنون حوله وهم يرددون :

- « بالتأكيد ليس من أحد أجمل منه في العلم كله .. »

بكى طفل النجوم وقال لنفسه :

- « إنهم يسخرون مني .. ويستخفون بتعاستي .. »

كان احتشد الناس كبيراً حتى إنه ضل الطريق ،
وفي النهاية وجد نفسه في ميدان كبير . فيه قصر
ملك .

اتفتح باب القصر فظهر كبار الموظفين والرهبان
بالمدينة يهرعون ليحيوه ، وفي تواضع قالوا له :

- « أنت سيدنا الذي انتظرناه طويلاً .. ابن ملكنا .. »

قال لهم طفل النجوم :

- « لست باين ملك .. بل ابن متسولة .. وكيف تقولون إننى جميل وأنا أعرف أن شكلى شيطانى ؟ »
هنا صاح ذلك الرجل الذى كان يلبس درعاً بزهور
مذهبة وهو يلوح بدرع :

- « كيف يقول سيدى إنه ليس جميلاً ؟ »

نظر الصبى فى الدرع فيا للعجب ! لقد عاد وجهه
كما كان واستعاد حسنه .

واتحنى الرهبان وكبار الموظفين وقالوا له :

- « تنبأ القدامى بأنه فى هذا اليوم سوف يأتى
ذلك الذى سيحكمنا . لهذا فليأخذ سيدنا سيفه
وصولجانه وليكن بعدالته ورحمته ملكنا .. »

لكنه قال لهم :

- « لكنى لا أستحق .. لقد تخلّيت عن أمى التى
حملتنى .. ولن أستريح حتى أجدها وأعرف أنها

صفحت عنى .. لهذا دعونى .. يجب أن أجوب العالم
من جديد ولا أتلكا هنا برغم أنكم جلبتم لى التاج
والصولجان .. »

وأدار وجهه إلى البوابة التى تقود إلى المدينة ..
هنا لدّهشته وجد وسط الزحام الذى يضغط على
الجنود تلك المرأة المتسولة التى هى أمه . وجوارها
كان المجنوم ..

خرجت من شفّتيه صيحة سرور .. وجرى حتى
بلغ أمه فاتحنى بلثم الجروح فى قدميها ، وبفسلها
بدموعه . مرغ رأسه فى الغبار وبكى كأنما تحطم
قلبه وقال لها :

- « أماء .. قد أنكرت فى ساعة غرورى وفخرى ..
فأقبلينى فى ساعة هوائى . أماء .. لقد منحتك الكراهية
فلمنحبنى الحب .. أماء .. لقد رفضتكم فأقبلى طفلك .. »

لكن المرأة لم تجب بكلمة ، فمد يديه وأمسك
بقدمى المجنوم البيضاويتين وقال له :

.. « قد منحت عطفي ثلاثا .. فاجعل أُمى تتكلم
معى مرة »

لكن المجنوم لم يرد بكلمة .

عاد يبكى وقال :

.. « أماء .. ان حزنى لعظيم .. أعطيني صفحك
واتركيني أعد للغباء .. »

وضعت المرأة يدها على رأسه وقالت :

.. « اتهمض .. »

ووضع المجنوم يده على رأسه وقال :

.. « اتهمض .. »

وسهس فبا عجب ما رأى .. كاتا ملكا وملكة !
وقالت له الملكة :

.. « هذا هو أبوك الذى أنقذته .. »

وقال له الملك :

.. « تلك هى أمك التى غسلت قدميها بالدموع .. »

وعاتقاه وقبلاه .. وأدخلاه إلى القصر وألبسناه
ثيابا جميلة . ووضعنا التاج على رأسه ، وعلى العديبة
المظلة على النهر صار ملكا وسيدا .

أظهر الكثير من العدل والرحمة ، ونفى الساحر
الشرير ، وأرسل إلى الحطاب وامراته الهدايا ومنح
أولادهما الألقاب ..

لم يقس على طير أو وحش .. لكنه علم الحب
والعطاء ..

للفقراء منح المال وللغرايا منح الثياب .

لكنه لم يعش كثيرا ، لأن معاناته كانت مألغة
القسوة ، وامتحنه كان مريرا ..

لذا مات بعد ثلاثة أعوام وأتى بعده من حكم البلاد
حكما جائرا ..

عيد ميلاد (إنفانتا) (*)

كان هذا عيد ميلاد (إنفانتا) .. كانت في الثانية عشرة من عمرها والشمس تسطع في حدائق القصر . وبرغم أنها كانت أميرة إسبانية حقيقية فلم يكن لها إلا عيد ميلاد واحد في العام مثل أبناء الفقراء . لهذا كان من الضروري أن يكون يومها عظيمًا بهذه المناسبة .

وقفت زهور التوليب على أعوادها كأنها هي صف من الجنود وقالت متحدية للورود :

« نحن رائعات الجمال مثلكن الآن .. »

وأينع الرمان وتشققت ثمراته بفعل الشمس كاشفة عن قلوب دامية حمراء ، فيما راحت للفراشات الصفرة تحلق من زهرة لأخرى وهي تبعثر الذهب حولها .

(*) عمة يطلق اسم (إنفانتا) على لينة ملك إسبانيا أو البرتغال ..

وراحت الأميرة الصغيرة تذرع الشرفة جينة وذهابًا .. وراحت تلعب (الاستغماية) وراء وحول أصص الزهور ، والتمثيل للقيمة التي كسبتها للطلاب . في الأيام العادية لم يكن يسمح لها إلا باللعب مع أطفال من طبقتها أي أنها كانت تلعب وحدها .. لكن ليوم استثناء ، وقد سمح الملك لها بأن تطلب مع من تريد من الأطفال ليلعبوا معها . وتوافد الأطفال متأنقين قدر الإمكان ، لكن (إنفانتا) كانت أكثرهم ثقةً طبعًا ، ملتزمة (بالموضة) لمرهقة لذلك العصر .. كانت عباعتها من السلطان الرمادي ، والتنورة والأكمام الواسعة مطرزة بالفضة . أما الحزام فكان مثقلًا باللاتن .. وكان في قدميها خفان رقيقان عليهما أزهار وردية ، وفي شعرها الذي بدا كهالة صفراء شاحبة حول رأسها كانت وردة بيضاء كبيرة .

ومن نافذة في القصر كان الملك الحزين يراقبهم خلفه جلس أخوه (دون بدرو) الذي يكرهه .. وكاتم أسرارهم قاضي اعترافات (جرانادا) يجلس جواره .

كان الميت أكثر كآبة من المعتاد لأنه إذ راقب ابنته
كن يتذكر الملكة للشابة - أمها - التي جاءت من البلد
السهج (فرنسا) ، لتتوى وتضمحل صحتها في الروعة
الكسبية للبلاط الإسباني ، وتموت بعد مولد ابنتها بسنة
أشهر .

عظيمنا كان حبه لها إلى حد أنه لم يتحمل أن
يدفنها ويواريتها بعيداً عنه .. لقد حنطها له أحد
أطباء (المور) وكان الثمن هو النجاة بحياته ، بعدما
اشتهم بممارسة السحر والهرطقة . وما زال جسدها
يرقد على نعشها المكسو بنسيج مزخرف ، في كنيسة
الرخام ، الأسود بنقصر . منذ أن حملها الرهبان إلى
هناك في تلك اليوم العصف من شهر مارس منذ
اثنى عشرة سنة .

وفي كل عام يذهب الميت إلى هناك مرتدياً عباءته
السوداء ، والمصباح في يده ، ليركع جوارها ويقول :

« مي رينا ! مي رينا ! »

وأحياناً يخرق قواعد الإيكية الذي يحكم كل شيء
في إسبانيا ، فيمسك بيدها الشاحبة المحلاة بالمجوهرات ،
ويحاول بالقبلات أن يوقظ الوجه الشاحب .

اليوم يشعر كأنه يراها ثانية كما رآها أول مرة في
قلعة (فونتنبيلو) منذ خمسة عشر عاماً . في ذلك
اليوم خطباً رسمياً في حضرة ملك فرنسا ، وعاد من
هناك حاملاً معه شعراً أصفر وذكرى شفتين طفلتين ،
لثمتا يده وهو يركب عربته .

فيما بعد كان الزواج .. وتم الترتيب له بسرعة
في (بورجو) ، والاحتفالات التي تلت ذلك ، ومنها
حرق عشرات المهرطقين الذين كان من بينهم الكثير
من الإنجليز .

بالقطع أحبها بجنون ، واندمج في حناها إلى
حد أنه كثر عن حروبه مع الإنجليز على حكم
العالم . ولم يفتن إلى أن الاحتفالات والمراسم التي
أغرقها فيها إنما أسهمت في جعل مرضها يزداد
سوءاً .

فلما ماتت لم يمنعها من الانضمام إلى النير ، إلا خوفه من أن تظل (إنفانتا) تحت رحمة أخيه الشرير والذي قيل إنه المسئول عن موت الملكة بقفازين مسمومين أعطاهما إياهما عندما زارت قلعة في (أراجون) .

وعاش الرجل مع الأحزان ، فلم يسمح لأحد من نبلاته أن يكلمه عن شيء جديد ، وحين كان الإمبراطور يتصل به علزضا عليه لزواج من أرشيدوقة (بوهيميا) الجميلة ابنة أخيه ، كان يقول للسفراء أن يبلغوا سيدهم بأن ملك إسبانيا قد تزوج الأحزان ، وبرغم أن الأحزان عقيمة فإنه يفضلها على الجمال ذاته . وقد كلفته هذه الإجابة مقاطعات هولندا الغنية .

اليوم يستعيد كل مشاهد حياته السابقة وهو يرى (إنفانتا) في الحديقة وفيها كل ملامح أمها .. حتى العناد المشاكس والفاتن برغم هذا ، وتطوح رأسها لخلف حين تصمم على شيء وتغرها المقوس الجميل ..

كانت الشمس مشرقة قلسية كلما تسخر من لحزانه ، وهكذا حين رفعت (إنفانتا) رأسها إلى أعلى في المرة التالية وجدت النافذة مغلقة والستائر منسدلة .

الآن جاء وقت المصارعة المزيفة . أرجعت رأسها إلى الخلف وتأبطت نراع (دون بترو) وتقدمت إلى الحلبة . هناك كان الصبية النبلاء يلبسون كمصارعي الثيران ويقفون في صف .. وقد رتبوا أنفسهم بحيث تقدم الصفوف أولئك الذين يحملون الأسماء الأطول . وجاء كونت (تيبيرا نوبا) الصغير وهو صبي وسيم في الرابعة عشرة من عمره ، اتحنى لها وخلع قبعة بكل الرقي والكبرياء المميزين لطبقة (الهيدالجو) التي جاء منها . واقتادها إلى مقعد من العاج يطل على الحلبة . وجلس الأطفال يلعبون دور المشاهدين وهم يطوحون بمرلوحهم .

بالطبع كانت مصارعة ثيران رائعة . المصارعون بعضهم على الجياد جميلة السروج يطوحون برماح مزخرفة ، وبعضهم على الأقدام يطوحون بعباءاتهم الحمراء ، والثور نفسه لم يكن أكثر من رجل متكرر يهجم ويقف أحيانا على قدميه الخلفيتين وهو ما لا يحلم به أي ثور حقيقي .

فى النهاية استطاع كونت (تييرا نوبا) أن يرغم
الثور على أن يركع على ركبتيه ، وطلب الإذن من
(إنفانتا) كى يمنحه ضربة الخلاص . من ثم أولج
السيف الخشبى فى عنق الحيوان حتى إن الرأس
المزيف انفصل ، وظهر وجه السيد (دى لوريان)
ابن السفير الفرنسى فى باريس .

بعد هذا كان عرض عرائس شديد الإمتاع ، وقد
بكى الأطفال وهم يشاهدون التمثيلية ، وحتى السيد
(بدرو) نفسه لم يتمالك نفسه من الدهشة لأن
عرائس بسيطة من الخشب والشمع كان عليها أن
تعالى قدرها بهذا الشكل القاسى .

ثم جاء مشعوذ إفريقى جلب سلة مغطاة بقماش
أحمر .. ووضعها فى منتصف الحلبة ، وأخذ من
عمامته أنبوبا ونفخ فيه .. بعد دقائق خرج ثعبانان
منها وارتفعا وراحا يتمايلان مع الموسيقى . لكن
الأطفال كانوا أقرب إلى الرعب .. ولم يظهروا السرور
إلا حين جعل الساحر شجرة تنمو من الرمال .. وحين

أخذ الساحر مروحة ابنة الماركيز (دى لاتور) وحولها
إلى طائر أزرق . بعد هذا جاء بعض الفجر ليمتعوا
الموجودين برقصهم وترويضهم للديبة والقردة ..
صحيح أنهم أصيبوا بالهلع حين رأوا (دون بدرو)
الذى شفق اثنين منهم منذ أسبوع فى السوق بتهمة
السحر ، لكنهم اطمأنوا حين رأوا (إنفانتا) بعينها
الزرقاوين الصافيتين اللتين لا يمكن أن ترتكبا
القسوة .

لكن أكثر الأجزاء إضحكا كان رقص القزم ، وهو
مخلوق قمىء اصطاده اثنان من النبلاء من غابة
متاخمة للمدينة . وكان حطبا فقيرا سره التخلص من
هذا الطفل المشوه . وقد راح القزم يرقص بساقيه
المقوستين ورأسه الكبير ، حتى إن (إنفانتا) انفجرت
فى الضحك واضطرت الكاميرا (مربيتها) أن تذكرها
بأنه وإن كانت هناك سوابق لأميرة تبكى نائرا ، فإنه
ليست هناك سوابق لأميرة تضحك كل هذا الضحك من
أحد رعاياها ، اللذين هم أننى منها مرتبة بحكم المولد .

كان السرور باديًا عليه وحين كان الأطفال
يضحكون كان يضحك بدوره في سرور . وكان يحيي
الأطفال باتحناات مضحكة وكأنه واحد منهم وليس
مجرد شيء مشوه ، جاء ليسخر الآخرون منه .

فتته (إنفانتا) وبدا عاجزا عن إبعاد عنه عنها ،
وكانه يرقص لها وحدها .. وقد تذكرت الأميرة ما كتبت
النساء يفعلنه مع (كافاريللي) الموسيقار الإيطالي
الغلامي ، الذي أرسله البابا إلى مدريد عسى أن ينجح
بموسيقاه في أن يخرج الملك من أحزانه . لذا مدت
يدها في شعرها والتقطت الوردة البيضاء وألقت بها
له في الحلبة لتغيط الكاميريرا .

تعامل مع الأمر بجدية ولمس الوردة بشفتيه
الغليظتين ، وواضعا يده على صدره انحنى أمامها .

قالت لها الكاميريرا إن على سموها أن تعود إلى
القصر ، لأن الجو حار ، ولأن موعد للوليمة قد حان ،
وفيها تورتة حقيقية كبيرة كتب عليها اسم الأميرة

بالسكر . لذا وافقت الأميرة على النهوض وإن
اشتراط أن يرقص لها القزم من جديد بعد انتهاء
ساعة القيلولة ، وفي أتب شكرت (تيرا نوبا) على
لطفه ، ثم اتجهت إلى جناحها .

وتبعها الأطفال بنفس الترتيب الذي دخلوا به .

حين سمع القزم أنه سيرقص ثانية أمام
الأميرة وبأمرها الشخصى ، استبد به الفخر لدرجة
أنه جرى إلى الحديقة ، وهو يلثم الوردة البيضاء ،
محدثا أغرب الأصوات والحركات التى تنم عن
السرور .

بدا على الزهور الضيق والاشمزاز من هذا
المخلوق القبيح ، وقالت شجرة الورد :

- « إن ورتى البيضاء التى أعطيتها للأميرة هذا
الصباح فى يده .. واضح أنه سرقها ! »

وصاحت :

- « لص !! لص !! »

بينما قال الصبار :

- « إن رؤية وجهه القبيح تملؤني تفرزا .. ولودنا
منى أكثر لدغنة بأشواكى .. »

بينما قالت زهور الجرعاتيوم :

- « ياله من مخلوق شنيع !! »

واتفقت الزهور كلها على أن القمر بدا مسرورا
متباهيا أكثر من اللآزم ، وكان سيبدو أفضل لو بدا
عليه الحزن أو على الأقل الشرود .. بدلا من أن
يرمى بنفسه ويتواثب بهذا الشكل السخيف .

أما الساعة الشمسية المرموقة ، والتي اعتادت أن
يرى الوقت فيها أناس مهمون ليسوا أقل من الملك
شارل الخامس نفسه ، فقد انتابها الدهشة لدى رؤية
القمر إلى حد أنها أضاعت دقيقتين كاملتين ، قبل أن
تقول للطاوس الأبيض الجالس في الشمس إنها
تعرف أن الملوك ينجبون ملوكا ، وأن الخطابين الفقراء
ينجبون خطابين فقراء .. وهي ملحوظة وافق عليها
الطاوس تماما .

لكن الطيور بشكل ما راق لها القمر .. لقد عرفت
في الغابة يرقص كالجناح أو ينكمش على نفسه في
شجرة بلوط قديمة يطعم السناجب بندقا . لم تبال
بكونه قبيحا .. حتى البلب الذي يغنى في الليل حتى
ينحنى القمر ليسمعه ، ليس رائع المنظر إلى هذا
الحد ..

بالإضافة لهذا كان رفيقا بها .. وفي ذلك الشتاء
القلبي الذي صارت فيه الأرض أكثر صلابة من الحديد .
وحيث كانت الذئاب تجيء إلى أبواب المدينة بحثا
عن طعام ، لم ينس هو الطيور قط ، وكان يرمى لها
الفتات من كيس الخبز الأسود الذي يحمله .

السحالي أيضا كانت مولعة به . وحيث تعب من
الركض وتمدد على العشب رحن يتواثبن حوله ،
وصحن :

- « لا يمكن لكل واحد أن يكون جميلا كالسحلية ..
من الصير أن يتوقع المرء هذا .. ليس بهذا القبح
بشرط أن يغمض المرء عينيه ولا ينظر إليه .. »

كانت الفلسفة طبيعة لدى السحالي ، ولكم جلست
الساعات تفكر حين تمطر السماء ، أو حين لا تجد
شيئا تفعله .

لكن القزم لم يسمع شيئاً من هذه المحادثات . كان
يحب للطيور والسحالي ويعتقد أن لزهور أروع شيء
في العالم باستثناء (إنفانتا) طبقاً ، لكنها أعطته
وردة بيضاء وأحبته .. ولكم تمنى لو عاد إلى القصر
معها ! عندها ما كان ليتركها أبداً ، ولكان يعلمها كل
الحيل الظريفة التي يجيدها . يمكنه أن يجدل أعواد
الهمبو ليصنع منها مزمارة ، ويمكنه أن يصنع
أقفاصاً صغيرة يحبس بها الجندب . يمكنه أن يحدد
نوع كل طائر من صوته .. ويعرف الأثر الذي يتركه
كل حيوان على الأرض .. يعرف كل الرقصات ..
يعرف أين يبنى الحمام عشه .. وكيف يعنى بالأفراخ
الصغيرة التي صيد أبواها ..

لسوف تحبه .. ولسوف تحب الأراب التي تتولب ،
والقفذ الذي يكور نفسه على شكل كرة شوك صغيرة .

نعم .. يجب على (إنفانتا) أن تأتي إلى الغابة وتلعب
معه .. سوف يتخلى لها عن فراشه الصغير ويقف
يحرسها جوار النافذة حتى الفجر .. ليتأكد من أن
للمشيئة ذات القرون لن تؤذيها ، وأن اللذنب الشرسة
لن تدنو من الكوخ ، وفي الفجر يدق على مصراع
النافذة وسيخرجان ليرقصا معاً طيلة اليوم ، فإذا
تعبت سوف يحملها بين ذراعيه .. لأنه قوى جداً
برغم أنه يعرف أنه قصير القامة .

لكن أين هي ؟

سأل الوردة البيضاء فلم تعطه إجابة . بدا القصر
كله نائماً . وحتى في النوافذ التي لم توصد كانت هناك
ستائر سمينة مسددة . دار في المكان يبحث عن
ثغرة يدخل منها حتى وجد باباً صغيراً مفتوحاً . دخل
فوجد نفسه في قاعة فاخرة .. أجمل بكثير من الغابة ..
وحتى الأرض كانت مصنوعة من أحجار ملونة
متراصة في شكل هندسي . لم تكن هناك إلا تماثيل
رائعة تنظر إليه وتبتسم ابتسامة غامضة .

وفى نهاية القاعة كانت ستارة سوداء مطرزة
بالنجوم والشموس .. هل تكون مخفية خلفها ؟

دعه يجرب على كل حال .

لكن لا .. إنها فقط تقود إلى حجرة أخرى أجمل
على جدرانها نقوش جميلة تمثل الصيد ، رسمها
رسام فلامنكى خلال سنة أعوام . مشى إلى الغرفة
التالية بحثاً عنها فلم ير أحداً ، لكن الغرفة لم تكن
خالية تماماً .

كانت الغرفة عرش والعرش ذاته مغطى بالمخمل
الأسود الذى طرزت إليه زهور ولالىء .. وكانت
الأرض مغطاة بالسجاجيد التى صنعها المور ، كانت
هناك قبعة الكاردينال وعباءته . لكن القزم لم يكن
يبالى بشيء وما كان ليتخلى عن ورقة واحدة من
زهوته مقابل هذه الكنوز .. كان فقط يرغب فى أن
يرى (إنفانتا) ويسألها أن تأتى معه إلى الغابة .
وأضاعت ابتسامة عينيه وهو يفكر .. ثم دخل إلى
الحجرة التالية .

كانت تلك أكثر الغرف تألقاً وأجملها .. وكانت
جدرانها مغطاة بالقش الدمشقى رسمت عليه طيور
وبراعم فضية . وكان الأثاث من الفضة التى حفرت
عليها (كيبيدات) محفلة . والأرض كانت من
العقيق اليمانى أخضر اللون وقد بدا كأنما يمتد إلى
الأبد .

خيل إليه من حيث وقف أن شكلاً صغيراً يراقبه .
ارتجف قلبه وندت صرخة فرح من فيه ودخل دائرة
للضوء إذ فعل هذا تحرك الشكل أيضاً وراه بوضوح .

بحق (إنفانتا) !!

كان هذا وحشاً .. أفضع وحش رآه فى حياته ..
لا يبدو كالإنسان فى حسن خلقهم ، لكنه أحبب وملتوى
الأطراف وله رأس عملاق ولبدة من الشعر الأسود .
قطب القزم وجهه فقطب للمسح وجهه كذلك . ضحك
فضحك المسح مثله . رفع يديه إلى جانبيه ورفع
المسح يديه كذلك . تقدم منه فجاء المسح له ، مقلداً

إياه في كل خطوة .. صرخ من السرور وجرى نحوه
ومد يديه . عندها مد المسخ يديه ولمس يدي القمر .
كنتا باردين كالثلج .

أصليه الهلع فتراجع من ثم تراجع المسخ كذلك .
حاول أن يضغط لكن شيئاً صلباً بارداً أوقفه . إن
وجه المسخ قريب من وجهه ، ومن الواضح أنه يشعر
بالذعر . أبعد الشعر عن عينيه فقلده . أظهر لكراهية
له ورسم على وجهه أمارات الكراهية ثم تراجع .

ما هذا ؟ فكر للحظة ثم نظر حوله .. كان هذا
غريباً ، لكن يبدو أن كل شيء مزدوج في هذه الحجرة ..
في هذه الجدران غير المرئية الشفافة كالماء
الصفى .

صورة لصورة .. أريكة لأريكة .. و (فينوس)
الفضية التي تقف في ضوء الشمس المتسرب من
النافذة تمد يديها لـ (فينوس) أخرى تماثلها في
الجمال .



أتراه الصدى ؟ لقد جربه مرة في الوادي ووجد
أنه يكرر كلماته كلمة كلمة .. أتراه يخدع العين كما
خدع الأذن ؟

هل يصنع عالماً مقلداً يشبه بالضبط للعالم الحقيقي ؟
هل ظلال الأشياء لها لون وحياة وحركة ؟ هل هذا
ممكناً ؟

تناول الورد البيضاء من صدره ولثمها ، ففعل
المسح الشيء ذاته مع وردة تخصه ، وضمها إلى
صدره بنفس التعبير المربع على وجهه .

حين فهم الحقيقة أطلق صيحة يأس وسقط على
الأرض بكياً . كان هو المشوه الأحب للقبيل المخيف .
كان هو الوحش .. وهو من سخر منه الأطفال
والأميرة الصغيرة التي حسبها تحبه .

كانت فقط تسخر من قبحه وتتهم على أطرافه
المقوسة .

لماذا لم يتركوه في الغابة حيث لا مرايا تخبره كم
هو كريه ؟

لماذا لم يقتله أبوه بدلاً من أن يبيعه للعار ؟
انسابت الدموع الساخنة على خديه ومزق الورد
البيضاء إرباً .

تمرغ المسح على الأرض ونظر له بعينين تقلصتا
ألماً .. زحف كي لا يراه وغطى عينيه بيديه .

زحف كحيوان جريح إلى حيث الظل وراح يئن ويبكي .
هنا دخلت (إنفانتا) نفسها المكان من النافذة
المفتوحة مع أصدقائها .. وحين رأوا القزم على
الأرض يبكي ويضرب الأرض بيديه بشكل غريب
مبالغ فيه ، انفجروا في الضحك ، ووقفوا يراقبونه .
قالت (إنفانتا) :

- « كان رقصة مضحكة .. لكن تمثيله أكثر إضحكاً ..
إنه كالدمى لكنه بالطبع ليس طبيعياً مثلها .. »

ولوحث بمروحتها الكبيرة وصفت .

لكن القزم لم يرفع عينيه .. فقط ازدادت دموعه
وهنا وهنا ، ثم أطلق فجأة شهقة غريبة ، وأمسك
بجنبه . ثم سقط على ظهره وسكنت حركته .

قالت (إنفانتا) بعد صمت :

- « هذا مذهل .. لكن الآن عليك أن ترقص لى .. »

صاح الأطفال :

- « نعم .. يجب أن تنهض وترقص لأنك بارع
فى الرقص كالقروود ، وأكثر إضحاكاً .. »

لكن القزم لم يرد :

ضربت (إنفانتا) الأرض بقدمها وصاحت تتلوى عنها
الذى كان يجول فى الشرفة مع رئيس التشريفات ،
يقرأ ان بعض الأوراق الرسمية للقادمة من المكسيك .

قالت له :

- « إن قزمى المضحك لا يرد .. يجب أن توقفه
وتجعله يرقص لى .. »

ابتسم الرجلان وبخلاً فى تودة ، وقحنى (لون بنرو)
وصفع القزم على خده بقفازه المطرز :

- « يجب أن ترقص ليها السيد الصغير . إن (إنفانتا)
ترغب فى أن تسليها .. »

لكن القزم لم يتحرك .

- « فلنستدع أحد الجلادين .. »

وعاد إلى الشرفة لكن رئيس التشريفات بدا
مهتمًا . ركع جوار القزم ووضع يده على قلبه .
بعد دقائق هز كتفيه ونهض وانحنى لـ (إنفانتا)
وقال :

- « يا أميرتى الجميلة .. قزمك المضحك لن يرقص
ثانية أبداً .. هذا محزن لأنه قبيح جداً إلى حد أنه
يمكن أن يجعل الملك يبتسم .. »

سألته ضاحكة :

- « ولماذا لن يرقص ثانية ؟ »

قال رئيس التشريعات :

- « لأن قلبه تحطم .. »

قطبت (إنفانتا) جبينها وتقلصت شفتاها الورديتان
في ازدراء وقالت ..

- « في المستقبل لا تحضروا للعب معي إلا من
لا قلب لهم .. »

وبكت وركضت إلى الحديقة .

أوسكار وايلد

١٨٨٨

★ ★ ★



حكايات أوسكار وايلد

كتابات أوسكار وايلد هي عالم رقيق من
الشاعرية والسحر والسخرية .. عالم لا يمكن
وصفه إلا بقراءته .. وهذا الكتيب الذي نقدمه لك
اليوم يحوى مجموعة من القصص القصيرة لهذا
الفنان المبدع ، تتراوح من (الأمير السعيد)
التي تذكرك بقصص الأطفال الجميلة ، حتى
تصل إلى (إنفانتا) الفاتنة في قسوتها ..
إنها حكايات أوسكار وايلد

44